الثقافة بين المحلية والكونية
في ظل عولمة الإتصال

حارث علي العبيدي   هبة عدنان النعيمي



الحامد



الثقافة بين المحلية والكونية

في ظل عولمة الاتصال

الثقافة بين المحلية والكونية
في ظل عولمة الاتصال

تأليف

أستاذ الانثروبولوجيا المساعد

حارث علي العبيدي

جامعة الموصل / العراق

المرشدة التربوية

هبة عدنان النعيمي

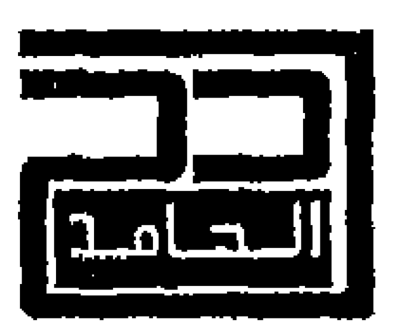
تربية نينوى / العراق



رقم التصنيف : 347.075
المؤلف ومن هو في حكمه : حارث علي العبيدي، هبة عدنان النعيمي.
عنوان الكتاب : الثقافة بين المحلية والكونية في ظل عولمة الاتصال.
رقم الإيداع : 2014/4/1921
الواصفات : القانون// التحقيقات الاولية/
بيانات الناشر : عمان – دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.
ISBN 978-9957-32-827-6 (ردمك)

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية.

الطبعة الأولى 2015-1436هـ



دار الحامد للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - شفا بدران - شارع العرب مقابل جامعة العلوم التطبيقية
هاتف: 5231081 6 962+ فاكس: 5235594 6 962+
ص.ب. (366) الرمز البريدي: (11941) عمان – الأردن
www.daralhamed.net
E-mail : daralhamed@yahoo.com

الإهداء

إلى كل...

الثقافات المحلية الإنسانية...

المنسحقة حد النخاع...

تحت عجلة العولمة الغربية...

أستاذ الأنثروبولوجيا المساعد

حارث علي العبيدي

2013

المحتويات

المقدمة

إن لكل مجتمع مهما كان شكله ونوعه وطبيعته نظام اجتماعي ونمط ثقافي خاص به، يحدد صورة الحياة الاجتماعية فيه. وتتضمن ثقافته من كل ما صنعه الإنسان أينما وجد، سواء كان مادياً أم معنوياً، وترتبط بحاجاته ارتباطاً وثيقاً، وهذه الحاجات رغم تنوعها واختلافها وتعددها تخضع لظاهرة التغير والتغيير الذي يعد قانون الوجود. إذن مركبات الثقافة لا تبقى في حالة ثابتة Static، بل تكون بوضع متحرك Dynamic، وذلك بفعل عدد من العوامل الداخلية والخارجية، التي تجعل المجتمع يتثاقف ويتلاقح مع المجتمعات الأخرى من خلال التماس الثقافي معهم، فتجعله يصدر ويقتبس أنماط ثقافية مادية ومعنوية. وذلك بتأثير عوامل عدة، منها وسائل الاتصال.

وقد ارتأينا إجراء هذه الدراسة للوقوف على أهم مظاهر التغير في ثقافة مجتمعنا العراقي. وذلك للوقوف على العناصر الثقافية الوافدة والدخيلة على ثقافتنا، وما فيها من قيم وعادات وتقاليد بمعاييرها الاجتماعية والأخلاقية التي تمثل تراثه الاجتماعي والثقافي. ويتجلى بالتبادل الثقافي وأنماطه على الجانبين المادي والمعنوي سيما وان مجتمعنا يشهد تحولات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية سريعة، بفعل الانفتاح المفاجئ على العالم الخارجي وعلى كافة الأصعدة، بعد أن كان مغلقا معزولا عنه. ويرى معظم الباحثين أن الثقافة مجرد مجال من مجالات العولمة شأنها في ذلك شأن السياسة والاقتصاد، إلا أن نظرة فاحصة لأهداف العولمة وبرامج من يسعون إلى صبغ العالم بها تؤكد عدم دقة هذه النظرة، ذلك أن العولمة الثقافية هي الهدف النهائي عبر وسائل سياسية واقتصادية، ومنها وسائل الاتصال الحديثة (الفضائيات، الانترنت، الجوال)، بدليل السعي إلى فرض القيم التي تحملها الثقافة الغربية اليوم على الثقافات الأخرى. فمنزلة الثقافة من العولمة منزلة الرأس من الجسد، بوصفها تعبيرا عن الهوية المستقلة للمجتمع، وانطلاقا من أن

العولمة تقتضي ذوبان وتلاشي الهويات المستقلة ليصبح العالم واحدا، فلا بد إذن من تذويب الثقافة المحلية بما تحمله من قيم اجتماعية ودينية وأخلاقية، وإدخالها فلك الثقافة العالمية. ومن آليات ذلك ظاهرة المثاقفة عبر ذراع العولمة (وسائل الاتصال).

إن نظرية التثاقف تولدت عن التساؤلات الثقافية الأمريكية، وأكد علماء الانثروبولوجيا على "أن كل ثقافة هي كلٌّ ونسق. ولهذا فان كل ثقافة هي منظمة ومُبَنْيَنة، تكون كل العناصر فيها مترابطة، فان من الوهم أن يدعى انتقاء الجوانب المفترضة (ايجابية) من ثقافة لربطها مع جوانب (ايجابية) في ثقافة أخرى، وذلك بهدف بلوغ نسق ثقافي (أفضل) فان هذا ببساطة غير قابل للانجاز، فضلا عن انه يثير سلسلة كاملة من المسائل". لأنه يجب أن لا نُشَيّءْ الثقافة, إذ هي ليست إلا تجريدا، وان الأفراد ينتمون إلى جماعات اجتماعية من جنس وسن ووضع ..الخ. فهم لا يكونون في أي مكان أبدا بكيفية مستقلة تماما، فلا بد أن نفهم إذا اندراجهم في صيرورة التثاقف بالرجوع إلى نفسيتهم الفردية وحسب.

إن التثاقف يمسك لمستويات الواقع الاجتماعي والثقافي لذلك لا يمكن أن ينحصر التغير الثقافي أفقيا ضمن المستوى نفسه ولا عموديا فيما بين المستويات المختلفة. وعند تحليل أية وضعية تثاقف علينا أن نأخذ بعين الاعتبار المجموعة المهيمنة والمجموعة المهيمن عليها سواء بسواء. وإذا ما راعينا هذا المبدأ سنكتشف انه لا وجود بالمعنى الدقيق، لثقافة (مانحة) وحسب، ولا لثقافة (متلقية) وحسب. فالتثاقف لا يجري أبدا في اتجاه واحد، إذا كان الهدف منه تنمية المجتمع سياسيا واقتصاديا وثقافيا وبشريا. وإلا أدى إلى تداعيات وانعكاسات سلبية تتجلى مظاهرها في المركب الثقافي والنظام الاجتماعي داخل المجتمع.

وتأسيسا على الظروف الأيكولوجية والسياسية والمعطيات والمؤثرات المجتمعية في نمط الثقافة العراقية بخصوصيتها العربية والإسلامية في إطار الطرز

الثقافية الكونية الراهنة، حاولنا في كتابنا تسليط الضوء على الواقع الاجتماعي والثقافي وما يواجهه من تحديات تجلت في سطوة الثقافة الغربية من خلال العولمة الثقافية وذراعها وسائل الاتصال المعاصرة، ومحاولاتها طمس الثقافة المحلية للمجتمعات الإنسانية وتغيير سماتها وخصوصياتها وهويتها بهدف تغريبها، وتقديم الثقافة الغربية على أنها الأنموذج الأمثل في الحياة الاجتماعية اليومية، ومنها (الثقافة العراقية) عبر ذراعها وسائل الاتصال المعاصرة.

وتضمن الكتاب أربعة فصول، أما **الفصل الأول** فاشتمل على ماهية الثقافة وسماتها وخصائصها والمناقلة الثقافية والانتشار الثقافي والتلاقح والاستعارة الثقافية والعولمة الثقافية وعولمة الثقافة. في حين اهتم **الفصل الثاني** ببنية المجتمع والأسرة وبنائها وتنظيمها والزواج مع مقاربة سوسيوانثروبولوجية بين الاسرة العربية والغربية. وطبيعة التنشئة الاجتماعية ومراحلها واساليبها وقنواتها. والضبط الاجتماعي ووسائله وآلياته. وتضمن **الفصل الثالث** مفهوم وسائل الاتصال المعاصرة وأنواعها ومحتوياتها وأهدافها وغاياتها. وأخيرا اهتم **الفصل الرابع** بواقع الثقافة العراقية في ظل تحديات وسائل الاتصال الكونية. فضلا عن عدد من المقترحات والتوصيات لمواجهة هذه الظاهرة والحد من آثارها وأبعادها وانعكاساتها على المجتمع وثقافته عموما.

الفصل الأول

الثقافة.. والمناقلة الثقافية

- المبحث الأول: الثقافة

(مفهومها - طبيعتها - سماتها — خصائصها)

- المبحث الثاني: الانتشار الثقافي.. ماهيته.. طبيعته
- المبحث الثالث: التلاقح والاستعارة الثقافية
- مصادر الفصل الأول

1

الفصل الأول

الثقافة..والمناقلة الثقافية

توطئة:

بدأ الإنسان الأول حياته متفاعلا مع البيئة الطبيعية ضمن النسق الأيكولوجي متسلحا بسلاح العقل واكتسب المعرفة والفكر من خلال تجاربه وتفاعله اليومي، فأسس الأسرة وبنى المدن وأنشأ المجتمع ببنائه وأنساقه وتنظيمه الاجتماعي، وكل هذه الإنجازات لم تكن ترى النور، لولا اختراعه الأهم في الحياة البشرية، ألا وهو الثقافة، بوصفها السلاح الذي وظّف وكيّف البيئة الطبيعة والاجتماعية وفقا لنفسه وحاجاته البيولوجية والنفسية والوجدانية والاقتصادية والاجتماعية. ومرت المجتمعات البشرية بمراحل تطورية عدة، أخذت اتجاهات وأنماط متنوعة، وذلك بحسب الظروف البيئية والتغيرات السياسية والتحولات الاقتصادية، بفضل التلاقح الثقافي بين المجتمعات والشعوب بعضها مع البعض الآخر من خلال عوامل عدة، أهمها الاتصال الذي يسهل عملية انتشار العنصر الثقافي سواء أكان ماديا أم معنويا من مجتمعه الأصلي إلى المجتمعات الأخرى. وهذه العملية بالتأكيد تخضع لشروط ومعايير تتعلق بظروف الاتصال وضوابطه ومضمونه ومدى فائدة العنصر الثقافي الوافد إلى المجتمع واندماجه في المنظومة الثقافية التي ترسم الخارطة الاجتماعية بإطارها ومرجعها الثقافي في الحياة اليومية للأفراد داخل المجتمع.

المبحث الأول

الثقافة

أولا: مفهوم الثقافة Culture..

اهتم العلماء والباحثين في العلوم الإنسانية في مصطلح الثقافة، ولم يألوا جهدا في ذلك لأهميتها ودورها في الحياة الإنسانية. واخذ كل منهم اتجاه معين في تعريفها وتوضيح سماتها بحسب الاهتمام والتخصص العلمي وموضعها فيه. وعلى العموم هناك اتجاهين نظرا إلى تعريف الثقافة، الأول وجد أن الثقافة تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والتفسيرات العقلية والرموز والإيديولوجيات وكافة الإنتاج العقلي، أما الاتجاه الثاني فيرى أن الثقافة تشير إلى النمط الكلي لحياة شعب من الشعوب، ويدخل في نطاق هذه الحياة العلاقات الشخصية بين الأفراد[1]. ونظرا لدور الثقافة في حياة الإنسان اليومية فقد كانت محور المهتمين. وعرفها العديد منهم، فالعالم تايلور عرف الثقافة أو الحضارة بإطارها الاثنوغرافي الواسع، وهي "الكل المعقد الذي يجمع المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعادات وأية قدرات سلوكية اكتسبها المجتمع البشري"[2]. أما العالم بواز Boas فعرفها على أنها " تضم كل مظاهر العادات الاجتماعية في جماعة ما، وكل ردود أفعال الفرد المتأثرة بعادات المجموعة التي يعيش فيها، وكل منتجات الأنشطة الإنسانية التي تتحدد بتلك العادات"[3]. ويمكن أن تشكل الثقافة " الوعاء الذي يضم الآثار الفنية والبضائع والوسائل التقنية والأفكار والسلوكيات والقيم"[4]. وتعني كذلك مجموعاً

---

[1] حجازي، سمير سعيد، معجم مصطلحات العلوم الإنسانية ونظرية الثقافة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2006، ص183.

[2] Alvin L .Bertrand .Basic Sociology, Louisiana State University, Appleton-century-crofts, New York, 1973, p.89.

[3] Boas. F, "Anthropology" Encyclopedia of social sciences. Vol, 2, New York, 1930, p.73:110 .

[4] Encyclopedia of social sciences the Macmillan. New York, 1962. p.621.

(من العناصر)، له علاقة بطرائق التفكير والشعور والسلوك، وهذه الطرائق صيغت في قواعد واضحة نوعا ما والتي – كون جمع من الأشخاص قد اكتسبها وتعلمها وشارك فيها– تستخدم بصورة موضوعية ورمزية في آن معاً من اجل تكوين هؤلاء الأشخاص في جماعة خاصة ومميزة[11]. وتشمل مجموعة من الممارسات والتصورات المرتبطة بهويات شتى، ثقافات المهن، ثقافات الاثنيات، الثقافات الخاصة بكل فئة من فئات العمر، الثقافات المحلية، الخ[2]. وعليه يمكننا أن نعرف الثقافة على أنها (مجموعة العناصر الثقافية المادية والمعنوية التي يكتسبها الفرد خلال حياته بوصفه عضوا في مجتمع معين، بغض النظر عن نمط وطبيعة المجتمع الذي يعيش فيه، بدائيا كان أم معاصرا).

ثانيا: سمات وخصائص الثقافة..

الثقافة وجدت مع وجود الإنسان مؤسس المجتمع، بدءً من صراعه مع البيئة الطبيعية بهدف بقائه ووجوده. فلا ثقافة بدون مجتمع، ولا مجتمع بلا ثقافة بوصفها أسلوب حياة أفراد المجتمع ومجمل تراثه الاجتماعي المكتسب عبر الأجيال، على اختلاف طبيعته وأنماطه، سواء أكان بدائيا أم متقدما، ريفيا أم بدويا أم حضريا. ومن هنا تختلف وتتنوع سمات وخصائص الثقافة باختلاف وتنوع المجتمعات التي تكون نتاج لتفاعل عوامل بيئية وسياسية ودينية واقتصادية واجتماعية.

– إنسانية اجتماعية:

الإنسان كائن اجتماعي بالطبع، أي انه لا يستطيع العيش بمفرده، وإشباع حاجاته المتنوعة والمختلفة. وعليه إن الثقافة اجتماعية بطبيعتها بمعنى أن الأفراد الذين يعيشون في جماعات أو مجتمعات منظمة لابد أن يشتركوا في ثقافة معينة

---

(1) روشيه، غي، مدخل إلى علم الاجتماع العام، تعريب مصطفى دندشلي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، 1983، ص137.

(2) مجموعة مؤلفين، المطول في علم الاجتماع، إشراف ريمون بودون، ترجمة د. وجيه سعد، الجزء الثاني، الهيئة السورية العامة للكتاب، وزارة الثقافة، سوريا، 2007، ص254.

وهي التي تجعلهم يميلون إلى أداء الأفعال بالطريقة نفسها تقريبا[1]. وهي كذلك أفكار يخترعها العقل البشري وينفذها الإنسان بأعضائه ويغيرها من الأدوات والآلات التي يصنعها، ولا خلاف على أن العقل (القدرة على التفكير والاختراع) هو قدرة خاصة بالإنسان وحده[2]. بمعنى ان الإنسان اختص بامتلاكه للثقافة بين الكائنات الأخرى في الحياة.

- مكتسبة:

إن الثقافة موروثة اجتماعيا عبر الأجيال من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وإخضاع الفرد لسلسلة من التفاعلات الاجتماعية في إطار البيئتين الاجتماعية والإيكولوجية. وهي عملية نقل ثقافة المجتمع إلى الطفل الذي يعيش فيه، أي أن أي طفل بشري مهما كانت السلالة التي ينتمي إليها يستطيع أن يلتقط ثقافة أي مجتمع بشري إذا عاش فيه فترة زمنية كافية[3].

- انتقالية:

الثقافة تنتقل من جيل إلى جيل في شكل عادات وتقاليد ونظم وأفكار ومعارف يتوارثها الخلف عن السلف عن طريق الوسائل المادية والرموز اللغوية، كما أنها تنتقل من وسط اجتماعي إلى آخر[4]. وعملية الانتقال هذه تتم من خلال صيرورة التنشئة الاجتماعية التي تحمل القيم الأخلاقية والدينية والروحية والتربوية والعادات والتقاليد وأنماط السلوك في الحياة الاجتماعية اليومية.

- إشباعية مجزية:

إن الثقافة دائما إشباعية وتتشابه مع ثقافات أخرى ناتجة عن الحقيقة القائلة بان الدوافع الإنسانية الأساسية تتطلب أشكالا مماثلة من الإشباع، والثقافة تتغير

---

[1] حجازي، سمير سعيد، المصدر السابق، ص182.

[2] الخطيب، محمد، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار علاء الدين، دمشق، 2005، ص22.

[3] المصدر نفسه، ص23.

[4] حجازي، سمير سعيد، ص182.

وهذه العملية توصف بأنها عملية تكيفية[1]. وتعد الثقافة مجزية وهذه نتيجة مستخلصة من المبدأ السيكولوجي الحديث بشأن المنبه والاستجابة، فالثقافة تتكون من عادات، ولقد اثبت علم النفس أن العادات لا تدوم ولا تترسخ إلا بقدر ما تجد إشباعا[2]. أي أنها تبقى ببقاء وظيفتها ودورها في إشباع الحاجات البيولوجية والاجتماعية والوجدانية، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو المجتمع.

- تكيفية توافقية:

الثقافة تتكيف عن طريق الاستعارة والتنظيم وذلك بالنسبة للبيئة الاجتماعية للشعوب المجاورة وتتكيف تبعا للتغيرات التي تطرأ على مظاهر المتطلبات البيولوجية والسيكولوجية للفرد[3]. وتتوافق مع البيئة الجغرافية والاجتماعية والبيولوجية والسيكولوجية، فكلما تغيرت ظروف الحياة عجزت الأشكال التقليدية عن توفير القدر اللازم من الإشباع، ومن ثم فهي تنكمش، وكلما ظهرت حاجات جديدة وأصبحت موضع اقتناع، استخدمت توافقات ثقافية لإشباعها[4]. وهذا يؤكد بان الإنسان لم يخترع الثقافة بهدف التكيف مع البيئة الطبيعية والتوافق مع البيئة الاجتماعية فحسب، بل استطاع ان يكيف البيئة لصالحه، وان يجعلها تسير متوازية مع صفاته وخصائصه الطبيعية والاجتماعية.

- متغيرة متصلة:

ان التغير قانون الوجود، والثبات موت وعدم، وهو سنة الحياة الاجتماعية، ولولاه لأصبحت المجتمعات جامدة بدائية الطراز، ماديا ومعنويا. وبما ان الثقافة تعد طريقة عيش فإنها لا تبقى ثابتة بدون ديناميكية وحركة. وتتغير ثقافات المجتمعات من وقت لآخر، ولكن تختلف درجة وأسلوب وفحوى التغيير من ثقافة

---

[1] حجازي، سمير سعيد، ص182.

[2] الخطيب، محمد، المصدر السابق، ص28.

[3] حجازي، سمير سعيد، المصدر السابق، ص182.

[4] جابر، سامية محمد، علم الإنسان، دار العلوم العربية، بيروت، 1990، ص29.

لأخرى[1]. والثقافة خاضعة لقانون التغير الذي تخضع له جميع مظاهر الكون، ويشمل عناصرها المادية وغير المادية[2]. وتكون متنوعة المضمون لدرجة التناقض، ويرجع التباين هذا إلى عوامل عدة منها، العقل البشري والطاقة والبيئة الجغرافية والقيم التي يؤمن بها المجتمع[3].

- كلٌ أو نسيج متداخل:

إن الثقافة لا تتكون من مجموعة من الأعمال والأفكار المنعزلة عن بعضها وإنما تتكون من كل متداخل العناصر والقطاعات[4]. وهي متشابهة الشكل أي أن الإطار الخارجي لنظم الثقافة تتشابه في جميع الثقافات وتصنيفها، ففي كل ثقافة نجد القطاعات الثلاثة وهي القطاع المادي والقطاع الاجتماعي والقطاع الفكري والرمزي[5]. وهذه القطاعات مختلفة ومتنوعة لكنها تأخذ شكل الاختلاف الذي يؤدي إلى التكامل. فكل قطاع له وظيفة تختلف عن وظيفة القطاع الآخر، لكنها تكمل دورها في عملية إشباع الحاجات الإنسانية، فلا يمكن الاستغناء عن احدها، بل وجودها شرط لوجود الأخرى لأنها ستمثل حلقة مفقودة قد تسبب تخلخلا في البناء الاجتماعي لأي مجتمع بوصف الثقافة مرجعا وموجها للسلوك الفردي والجماعي في الحياة الاجتماعية اليومية. وقد نفهم الثقافة ككل من خلال فهمنا لجزء من مكوناتها، وفي الوقت ذاته قد نستطيع فهم جزء من الثقافة عندما نفهم الاطار العام للثقافة.

---

(1) الخطيب، محمد، المصدر السابق، ص27.

(2) حجازي، سمير سعيد، المصدر السابق، ص182.

(3) الخطيب، محمد، المصدر السابق، ص26.

(4) المصدر نفسه، ص24.

(5) المصدر نفسه، ص27.

المبحث الثاني
الانتشار الثقافي

الانتشار الثقافي Cultural Diffusion

إن الانتشار Diffusion يعني انتقال أدوات أو تطبيقات أو أفكار معينة من مجتمع إلى آخر، أما عن طريق التجارة أو الاتصال المنظم أو العرضي[1]. فالعناصر الثقافية تنتقل من موطن إلى آخر بتأثير بعضها في بعض، كما أن الحضارات بكليتها تتواصل وتتفاعل وتتبدل، وهذه الخاصية أساسية في خواصها، مستمدة من كيانها الإنساني والاجتماعي[2]. وتتميز الثقافة بأنها قابلة للتغير، وذلك بإدخال عناصر جديدة وحذف واستبعاد عناصر أخرى. وترى المدرسة الانتشارية بان الناس ليسوا جميعا مبتكرين بالفطرة، وأنهم يميلون إلى الاستعارة والاقتباس. إذن العناصر الثقافية منها ما هو مكتسب من داخل المجتمع بسبب عوامل التجديد والاختراع والاكتشاف، ومنها من خارجه عن طريق الانتشار والتثاقف والاقتباس. ولعل ابرز ما جاءت به المدرسة الانتشارية اتجاه الأقاليم الثقافية Culture Area، وهي مناطق جغرافية محددة تشخص بناءً على اشتراكها في بعض العناصر الثقافية التي انتقلت إليها من مناطقها التي نشأت فيها أصلا عن طريق الانتشار[3]. وعكف على هذا المذهب علماء (المدرسة الحضارية- التاريخية) وتبنوا ما أسموه بالمهد الحضاري culture kreis، الذي يعني أن السمات والمركبات الحضارية (Culture trait) (Culture complex) تنتشر من مراكز محددة في العالم (مهود

---

[1] كلاكهون، كلايد، الإنسان في المرآة، ترجمة د. شاكر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد – نيويورك، 1949، ص144.

[2] جواد، محمد خلف، العلاقة الإشكالية بين الثقافي والغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع 176، 1993، ص71.

[3] النوري، قيس، مدارس الانثروبولوجيا، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1991، ص257.

حضارية) إلى بقية أرجائه[1]. مثل حضارة وادي الرافدين ووادي النيل واليونان والصين، أما العالم (ويسلر) فقد اعتمد على مبدأ المركز الثقافي Culture Center، الذي افترض خروج العناصر الأصلية إلى الخارج، بالإضافة إلى قانون الانتشار Law of Diffusion الذي يعني أن السمات الثقافية تنتشر في جميع الاتجاهات المحيطة بالإقليم الصادرة عنه[2]. في حين أكدت مدارس انتشارية أخرى كالألمانية النمساوية وجود دائرة ثقافية واحدة، تبقى عناصرها بقوتها وتأثيرها وجوهرها الأصلي بالقرب من المركز وتفقد قوتها كلما ابتعدت عنه وذلك بالاندماج مع عناصر جديدة، في حين أكدت المدرسة الأمريكية على أن الملامح المميزة لثقافة ما، قد وجدت أولا وقبل كل شيء في مركز ثقافي جغرافي محدد ثم انتقلت إلى مناطق أخرى[3]. وعموما فان جميع المذاهب الانتشارية تؤكد على انتقال الأنماط الثقافية من موطنها الأصلي وتنتشر في أكثر من اتجاه عن طريق وسائل عدة إلى مجتمعات عديدة. إن لعامل الحاجة دورا مهما في تقارب الثقافات، حين يدعو إلى خلق تفاعل بين الحريات الثقافية والأصالة والتراث الثقافي، وبين الثقافة المحلية والثقافات الإقليمية، وتمهد السبيل لخلق الانفتاح من دون التأثر الأحادي الجانب من الثقافة المحلية فقط، بحيث يفقدها هويتها ومعطياتها على أساس التفاعل المشترك والاستفادة من الومضات اللامعة في الثقافات الأخرى التي يمكن أن تثري وتعزز مسيرة الثقافة المحلية[4]. لان على الأغلب إن ثقافة أي بلد من البلدان أو أية أمة من الأمم، تضم دوائر ثلاثا متداخلة مع بعضها البعض. فالدائرة الأولى هي دائرة (الثقافات المحلية) التي لا تخلو من تنوع هم مصدر للغنى والخصب، والدائرة الثانية هي دائرة (ثقافة الأمة) أو الدولة المعنية بكاملها، وتضم أنماط السلوك المادي

---

[1] سليم، شاكر مصطفى، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت، 1981، ص360.

[2] النوري، قيس، المصدر السابق، ص260.

[3] مصطفى، فاروق محمد، الانثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984، ص123.

[4] الزبيدي، مفيد، قضايا العولمة والمعلوماتية في المجتمع العربي المعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص51-52.

والمعنوي التي تميز أية أمة من الأمم عن سواها، أما الدائرة الثالثة فهـي دائـرة (الثقافة العالمية) التي تتفاعل مع الثقافة القومية وتمنحها القدرة على الحيـاة عـن طريق تجديدها، والتقدم العلمي التقني، وثورة المعلومات والاتصال بوجه خـاص، وتحول العالم إلى قرية واحدة تؤدي كلها إلى اتساع الدائرة الثالثة (دائـرة الثقافـة العالمية)[1]. وهكذا فان انتشار العناصر الثقافية مهما كانت أسبابه وعوامله سيحمل في طياته الانصهار والحذف والإضافة، ستتجلى في المنظومة القيميـة والفكريـة للمركب الثقافي لأي شعب أو مجتمع.

[1] عبد الدائم، عبد الله، دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1998، ص151-152.

المبحث الثالث

التلاقح والاستعارة الثقافية

أولا: التثاقف Acculturation..

إن التثاقف بوصفه مجموع الظواهر الناتجة من تماس موصول ومباشر بين مجموعات أفراد ذوي ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغيرات في النماذج Patterns الثقافية الأولى الخاصة بإحدى المجموعتين أو كليهما[1]. ويقول الباحث الكوبي اورتيز Ortiz " إنني أؤيد الرأي بان كلمة المناقلة الثقافية Transculturation تعبر بشكل أفضل من مراحل سياق الانتقال المختلفة، من ثقافة إلى أخرى، لان هذا السياق لا يشتمل فقط على اكتساب ثقافة أخرى، بل يتضمن أيضا بالضرورة، فقدان مقدار ما من ثقافة سابقة، أي الانتزاع منها، وهو ما يمكن تعريفه بالتجريد الثقافي Deculturtion، أضف إلى ذلك، انه يقود بالتالي إلى فكرة ظاهرة نشأة ثقافة جديدة، وهو ما يمكن تسميته "التثقيف الجديد"[2]. فالتبادل الثقافي intercultural communication يعني إقامة الاتصالات بين مختلف الثقافات، وإدارته تتم من خلال نشاطات عدد من الأشخاص ينتمون الى ثقافات مختلفة، وتكون هذه النشاطات رابطة وجامعة لهذه الثقافات[3].

وهذه العملية تتباين نوعاً وكماً بحسب عوامل عدة، مختلفة ومتنوعة، مادية أم معنوية.

---

[1] كوش، دوني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، مراجعة الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص93.

[2] الشماس، عيسى، مدخل إلى علم الإنسان (الانثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص146.

[3] David, L. doing culture-cross cultural communication in Action, Beijing: Foreign Languages teaching and research press, 2001, p137.

أ- عوامل ومتغيرات التثاقف..

وضع كل من العلماء، (ملفيل هرسكوفيتس ورالف لنتون وروبرت ريدفيلد) مُذكرة بَنَتْ نَمْذَجة لعمليات التماس الثقافي، بحسب أن يكون التماس بين مجموعات بأكملها، أو بين شعب بأكمله ومجموعات مخصوصة من شعب آخر (مبشرون، مثلا، أو مستعمرون أو مهاجرون...)، وكذلك بحسب أن يكون وديا أو عدوانيا، وبحسب أن يكون بين مجموعات متقاربة عددا أو بين مجموعات متفاوتة الكثرة بوضوح، وبحسب أن يكون بين مجموعات متماثلة التعقيد في ثقافتها أو لا، وأخيرا بحسب أن يكون نتيجة الاستعمار أو الهجرة[1]. في حين أكد كل من (بيلز Beals وهويجر Hoijer) على أن هناك متغيرات وعمليات كبرى تنطوي عليها ظاهرة التثاقف ومنها، درجة التباين الثقافيThe degree of cultural difference، وظروف الاتصال وكثافته Circumstances and intercity of contact، ومواقف السيطرة والتبعية Supero-dination-subarination، واتجاه المد التأثري Direction of flow[2]. ومعنى هذا بان التثاقف يتأثر كثير باختلاف عناصر الثقافات ونمط الاتصال وظروفه، وكذلك درجة تكافؤ الثقافات المتماسة، ونوع التأثر الثقافي سواء أكانت عمليات التثاقف سلبية أم إيجابية. وأنه لا يمكن اختزاله أبدا، وان كان قسريا أو مخططا له، إلى مجرد نزع للثقافة ولا يفضي حتما، إلى الاستيعاب الذي لا يكون بالضرورة، إذا ما حدث نتيجة إبادة إثنية ويمكن أن ينجر عن اختيار (المستوعبين) الإرادي[3].

ب- وضعيات ونماذج للتثاقف..

إن التثاقف لا يجري أبدا باتجاه واحد، ولهذا اقترح عالم الأنثروبولوجيا (باستيد) مصطلحي "تداخل" الثقافات أو تقاطعها عوضا وبديلا من مصطلح "تثاقف"،

---

(1) كوش، دوني، المصدر السابق، ص94-95.

(2) الخريجي، عبد الله، التغير الاجتماعي والثقافي، رامكان، السعودية، 1983، ص305-307.

(3) كوش، دوني، المصدر السابق، ص103.

الذي لا يعين بوضوح تبادل التأثير هذا، وان كان قليلا ما يكون متناظرا، ولذلك بنى هذا العالم نَمْذَجَته في التثاقف على **ثلاث** معايير.. **الأول**.. عام وسياسي تقريبا، **والثاني**.. ثقافي، **والثالث**..اجتماعي، وهنا تتشكل ثلاث وضعيات نموذجية للتثاقف، أولها تثاقف "عفوي" و"طبيعي" و"حر"..(في الواقع لا يكون كذلك كليا، أبداً)، ويتعلق الأمر بتثاقف غير موجه وغير مراقب. وثانيها تثاقف منظم، ولكنه **قسري** ولفائدة مجموعة واحدة.. كما هو الشأن في العبودية أو الاستعمار، بهدف تعديل ثقافة المجموعة المهيمن عليها بغية إخضاعها لمصالح المجموعة المهيمنة، وهنا يكون جزئي ومجزأ وغالبا ما يكون نزاع للثقافة. وثالثها التثاقف المخطط له والمراقب.. والذي يسعى أن يكون نسقياً ويستهدف آجالا بعيدة، وهذا ذات صبغة اقتصادية بهدف التطوير الاقتصادي[1]. وقد يتم التخطيط هنا انطلاقا من معرفة مفترضة بالحتميات الاجتماعية والثقافية، كأن تنشأ المثاقفة المخططة بناءً على طلب مجموعة تتمنى رؤية تطوير شكل حياتها لتشجيع تطورها الاقتصادي على سبيل المثال[2].

ج- العوامل المؤثرة في صيرورة التثاقف..

هناك عوامل كثيرة تؤثر في عملية التثاقف، لكن سنقتصر في توضيح أكثر العوامل التي تؤدي دورا كبيرا فيه وهي ثلاثا، العامل السكاني، أي المجموعات المعنية غالبة عددا وأيهما تكون أقلية؟ مع عدم الخلط بين الأغلبية الإحصائية والأغلبية السياسية. والعامل البيئي، أين جرى التماس؟ أفي المستعمرات أم في البلد المستعِمر؟ في وسط ريفي أم في وسط حضري؟ والعامل الإثني أو العرقي، ما بُنية الروابط بين الإثنيات؟ أنحن إزاء علاقات هيمنة/ إلحاق؟[3]. فبعد عملية الاحتكاك والتفاعل والهجرة قد تستمر الثقافات المتثاقفة لتصل لدرجة التعايش، في إطار

---

[1] كوش، دوني، المصدر السابق، ص106-107.

[2] محتوق، فريدريك، معجم العلوم الاجتماعية، اكاديميا، بيروت، 1998، ص36.

[3] كوش، دوني، المصدر السابق، ص107-108.

احتكاك متواصل يؤدي إلى الاندماج والعيش المشترك. وكذلك بسبب تجدد الحاجات الإنسانية وتنوعها بحيث أصبحت الحاجة هي السبب الأول لسعي الإنسان إلى التثاقف. وان تبادل الجميع للمنافع انطلاقا من مبدأ عالمية الثقافة، وان انتقال الأفكار والقيم والمكتسبات الإنسانية لا يمكن وقفه من خلال الحواجز السياسية والحدود الجغرافية[1]. واصبح الحال واقعا اجتماعيا حيّا بعد ولوج وسائل الاتصال المعاصرة إلى بطون المجتمع، بدءا من الأسرة مرورا بالمؤسسات المجتمعية الأخرى.

ثانيا: الاستعارة والاقتباس الثقافي Cultural borrowing..

إنها عملية استخدام عنصر ثقافي قادم من منطقة جغرافية معينة سواء مادي أو معنوي من قبل أفراد المجتمع. وتشمل جميع النظم والأنساق، وما يرافقها من ردود أفعال سواء بالقبول أو الرفض أو القبول بعد التحوير، بالإضافة إلى المدة الزمنية التي يستمر فيها بقاء العنصر الثقافي داخل المجتمع المقتبس له، فضلا عن كيفية انتشاره واقتباسه والاحتفاظ به أو رفضه. وتعد الاستعارة الثقافية Cultural Borrowing أكثر أشكال التجديد شيوعا وأهمية ذلك لان الغالبية العظمى من عناصر أي ثقافة هي في الحقيقة محصلة عملية الاستعارة[2]. فليس هناك مدنية – حتى إذا استمرت في مكان واحد تبقى بلا تغير عبر الزمان[3]. ومثال ما حدث في مدن العراق ومصر والصين واليونان من التغيرات التي حصلت في الأنماط الثقافية فيها من إضافات وحذف في طرازها الثقافي. وان ميكانيزمات انتشار الثقافة متعددة ومتنوعة جعلت الاتصال الفكري والروحي بين المجتمعات بشكل مباشر وغير

---

[1] بركات، نظام محمود، التبادل اللا متكافيء بين الثقافتين العربية والغربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003، ص159.

[2] كلاكهون، كلايد، المصدر السابق، ص104.

[3] شابيرو، هاري، نظرات في الثقافة، ترجمة محمد العريان، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة- نيويورك، 1961، ص159.

مباشر، مما أدى إلى تقريب المسافة بين الاختلاف في الطراز الثقافي واختزال الكثير من الوقت والجهد للاقتباس الثقافي Cultural Borrowing بين أفراد الشعوب المختلفة. وبعد الثورة المعلوماتية التي اجتاحت اغلب المجتمعات فان العزلة قد أصبحت ضعيفة نسبياً، لان العالم اقترب أن يصبح قرية صغيرة من خلال انتشار وسائل الاتصال[1].

ثالثا: العولمة الثقافية..عولمة الثقافة..

ان العولمة بوصفها حركة اجتماعية تتضمن انكماش البعدين : الزماني والمكاني، مما يجعل العالم يبدو صغيرا إلى حد يُحتّم على البشر التقارب بعضهم من بعض[2]. أي لا حدود مادية جغرافية تفصل بين ثقافة المجتمعات، ولا مرحلة تاريخية تصنف في ضوئها طبيعة وتطور الأمم، بمعنى إذابة التراتب الحضاري بين الشعوب لتحقيق أهداف واضعيها ومخططيها، من ساسة الغرب وأغنياهم. وتأسيسا على رؤية الباحثين والعلماء الذين اكدوا على الجانب الاقتصادي من العولمة، فإنها ستمثل هيمنة الإنتاج الرأسمال وانتشاره في الصميم مضافا إلى انتشاره في الظاهر كذلك، أي هيمنة النمط الرأسمال الأمريكي ليتلازم معنى العولمة في مضمار الإنتاج والتبادل المادي والرمزي، مع معنى الانتقال من المجال الوطني أو القومي إلى المجال العالمي أو الكوني[3]. أي تحاول جعل المعمورة بيت واحد، والشعوب أسرة واحدة، والاقتصاد طبقة واحدة، لا وجود لغني ولا لفقير، والثقافة متوحدة، فلا أمّي ولا مثقف، في نمط حياة اجتماعية تشابه مرحلة ما قبل الآلة الحديثة. أما الانتماء فيكون للعالم كما هو للدولة الواحدة، والاختلاف يتركز

---

[1] العبيدي، حارث علي، دراسات سوسيوانثروبولوجية، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص160.

[2] مجموعة باحثين، ماذا تعرف عن؟ العولمة تحديات الواقع، الأهلية للنشر والتوزيـــع، الأردن، 2010، ص7.

[3] المصدر نفسه، ص8.

في الجزئيات لمجتمعات الأطراف، أو التي يضعف فيها الاتصال والتثاقف مع المجتمعات الأخرى.

إن العولمة الثقافية تعني تعميم ثقافة واحدة وسيادتها وهيمنتها على غيرها من الثقافات، ومحاولة إحلال هذه الثقافة الواحدة محل الثقافات الأخرى، بمضمون تلك الثقافة ومحتواها من أساليب التفكير، والتعبير والتذوق الفني، وأنماط السلوك والتعامل والنظرة إلى الحياة والكون[1]. ومحاولة رسملة العالم على مستوى الجوهر والقيم والأخلاق بعد ان رسملته على مستوى البناء الاجتماعي وأنماطه ومظاهره. وهناك اليوم حركات انفصالية عرقية في اوربا الغربية تربط مصيرها بنمو مجموعة أوربية تخلع الرداء البيروقراطي الضيق الذي يفرضه نسق الدول القومية الراهن الذي اخفق في إعطاء الأقليات العرقية الهامشية حقوقها في عالم ما بعد الحرب، فلن يتم الاعتراف بهذه الأقليات المهملة ولن تتمتع بمبدأ تكافؤ الفرص إلا في مجموعة أوربية أعرض واكثر مرونة[2]. أما على المستوى الثقافي فالعولمة هي تنميط العالم، وجعله واحدا في السلوك والذوق والعادات من دون اعتبار أو تقدير لثقافات الشعوب وخصوصيتها، وبالاعتماد على الثقافة يتم تسويق العولمة[3]. أي عودة الهيمنة الغربية بثوب ورداء جديد قادمة على أجنحة المعلوماتية والعالم المفتوح، متسلحة بالعلم والثقافة وإن كانت غير إنسانية. ولتأتي بقاعدة البقاء للأسرع بعد ان كان للأقوى. من خلال قيام الأسرع بتثبيط حركة الأبطأ، في نظرية عصرية عولمية متخذة الإعلام والاتصالات الذراع الأطول في تحقيق الأهداف التي تتمحور حول الربح دون خسارة من خلال توظيف واستثمار رؤوس الأموال

---

(1) الأسد، ناصر الدين، الثقافة العربية بين العولمة والعالمية، مجلة الأكاديمية، مطبوعات أكاديمية، المملكة المغربية، ع16، 1999، ص124.

(2) فيذرستون، مايك، ثقافة العولمة، ترجمة عبد الوهاب علوب، مكتبة الأسرة، مصر، 2005، ص167.

(3) الداقوق، رضا محمد، العولمة تداعياتها وآثارها وسبل مواجهتها، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص52.

بعد ان كانت تمارس اتكار الإنتاج. وخرج النظام الرأسمالي متجاوزا حدود الدولة القومية الى العالمية، ومن المنافسة الحرة الى الهيمنة والاحتكار. ان التصورات المؤسسة على افق المعطيات الناجمة من إرهاصات وتجليات العولمة الثقافية لتؤكد ان العالم يتعولم من خلال تعاطيه لأدوات العولمة من فضائيات وتجارة الكترونية وهاتف جوال وانترنت، ومن خلال تفاعله مع قيم وإفرازات ظاهرة العولمة يتنازل إراديا عن خصوصياته الثقافية ويتشرب تدريجيا قيما جديدة وافدة، هي قيم نموذج الغرب والأمركة المتسيدة[1]. وهي في ظاهرها تنشد عولمة الديمقراطية وفي باطنها عولمة الفقر والجوع والتفكك الاجتماعي والجريمة. كما تقوم بدور كبير في تشكيل افتراضاتنا وتصوراتنا عن الواقع بشكل يفوق الدور الذي تقوم به الخبرات الفعلية في ذلك[2]. ويمكن أن نرى سيطرة ثقافة الغرب على الثقافات الأخرى من خلال استثمار مكتسبات العلوم الثقافية في ميدان الاتصال، وليس بخاف عنا أن الجانب التكنولوجي من أهم واحدث سمات العولمة. وعالمية الثقافة تزيد من الاستثمار المعلوماتي للدول الغنية مالكة التكنولوجيا وصاحبة الحضور الإعلامي في كل بقاع الدنيا، كما أن هذه الدول المتمثلة في شركة الإنتاج والنشر والبث تقوم بدور حارس البوابة وتختار ما تعتقده مناسبا لها في المواقع المتكررة إلى الدول المتلقية[3]. ومنها نشر وإشاعة مصطلحات جديدة ذات مفاهيم أو مضامين تحل محل المضامين الأصلية التي تتصل بحياة الأمة وتشخيصها وحقيقة وجودها، وكذلك الأفلام والمسلسلات والأغاني الأجنبية التي تطالعنا في كل مكان وتقرع أسماعنا في كل حين، وهي محملة بأنماط الحياة وأساليب التفكير والسلوك الغربية وخاصة الأمريكية، يراد لها إن تكون السائدة في البلاد الأخرى[4]. وفي الوقت ذاته

---

[1] مؤنس، كاظم، المصدر السابق، ص49.

[2] عبد الحميد، شاكر، عصر الصورة، الإيجابيات والسلبيات، عالم المعرفة، الكويت، 2005، ص385.

[3] الدليمي، عبد الرزاق محمد، الإعلام والعولمة، دار مكتبة الرائد العلمية للنشر، الأردن، 2004، ص17.

[4] الأسد، ناصر الدين، المصدر السابق، ص152–159.

فان العولمة تسهل حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على نطاق كوني، ويضمن ذلك انتقال المعلومات والأفكار[1]. وهي أداة تحديث لكل الصناعات في العالم، فضلا عن أنها توضح الفروق في كل الحالات في كل أنحاء العالم، وتنشر الظواهر الاجتماعية والفنية في العالم[2]. لان مواد البث الوافد قد تعد وسيلة من وسائل الاختراق الثقافي[3]. واتبعت وسائل الاتصال الأساليب المحظورة وغير المحظورة، فعمدت إلى سحق القيم السائدة فتظهرها بمظهر التخلف والزيف وطمست معالم وبشرت بأخرى وبآفاق مختلفة، فكان ان سعت جاهدة لتكريس الاستدراج والقلق وغرس الانهزامية وعقد الشعور بالذنب والاضطرابات النفسية والانكسار والنكوص وعدم الجدوى من الواقع وتغيره واختفاء الأمل من الأفق[4]. وكان لهذه الأساليب تأثيرها البالغ والمؤثر في الأطفال والشباب وهي الفئات الأكثر تأثرا من غيرها من الفئات العمرية الأخرى والذات في البلدان النامية والجماعات المختلفة، وهي لا تقف عند هذا الحد بل تتوغل في جميع مظاهر الحياة وتغزو كل مظاهر الفكر والعمل وتنسج حول الأفراد والشعوب شباكا من الضغط النفسي والاجتماعي[5]. وان الأخذ بالنموذج الفكري الحضاري بشكل قصري من خلال النخب السياسية والثقافية أدى إلى حرمان الأمة هويتها الإسلامية[6]. وهنا يرى (تنستول Tunstall) "إن قدرة الثقافة الأمريكية على الانتشار في الدول الأخرى عبر بثها الفضائي، لا يأتي من قوة الثقافة الأمريكية وتفوقها، وإنما من عدم ملائمة

---

[1] يس، السيد، العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص29-30.

[2] هانس، بيتر، وهارولد شومان، فخ العولمة، ترجمة عدنان عباس علي، عالم المعرفة، (238)، الكويت، 1998، ص44.

[3] هادي، محمد عبده، إشكالية الثقافة – الإعلامية المرئية الوافدة (عبر القنوات والفضائيات)، مجلة التواصل، ع15، دار جامعة عون للطباعة والنشر، اليمن ، 2006، ص65.

[4] مؤنس، كاظم، المصدر السابق، ص50.

[5] عبد الحميد، محمد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة، 2000، ص82.

[6] حسن، مصدق، مدخل إلى الثقافة الإسلامية، دار النهضة، سوريا، 2006، ص137.

الثقافات التقليدية في الدول المستقبلة، وان من خصائص هذه الثقافات التقليدية إنها ثقافات صفوة، وثقافات مكبلة بالقيود ولا تلبي احتياجات الإنسان المعاصر الذي يبحث عنها في الثقافات الوافدة لمجتمعه، في حين أن (اثيل دو سولابول .Ithiel De Solapool) يشير إلى إمكانية وجود الأفكار المستوردة بسهولة، فالأفكار المحلية والبرامج والمواد الوطنية تتمتع بمجموعة من المزايا التي تحميها من الاختراق الأجنبي لها[1]. لكن انغماس الفرد في مشاهدة مواد الثقافات الغربية عبر الفضائيات التلفازية كفيل بابتعاد الفرد عن قيمه وموروثاته الاجتماعية وتبديله بالثقافات الغربية[2]. ليؤدي إلى سلوك مفعما بالصراع والتناقض، فالفرد المتغرب يتخطى حدود التأثر بحافز أو منبه الصراع[3]. فيكون أمام خيارات عدة، منها الانسحاب واللا مواجهة، أو الرضوخ والخضوع والاستسلام والتكيف مع الواقع، فضلا عن التمرد الفردي أو العمل الثوري لتغيير الواقع سياسيا أو اجتماعيا. وعليه فإن عولمة الثقافة يمكن ان تعد نتاج هيمنة نموذج ثقافي معين، وهي الهيمنة التي بقفزها على الهويات الثقافية المختلفة أفرزت بروزا "للقبائل" وللانغلاق على الذات، وللشعور الاثني عوضا التعايش والحوار[4]. وهنا الثقافة أخذت تتوحد في جانب وتتجزأ في جوانب أخرى، فعلى الجانب الاقتصادي نرى توجها نحو التوحد دوليا (الاتحاد الأوربي – منظمة التجارة العالمية – آسيان – الاتحاد الأفريقي)، أما الجانب السياسي فأخذ اتجاه التفتت (أزمة البرنامج النووي الكوري الشمالي والإيراني – مـــا يسمـــى بالربيع العربي – العراق – السودان – أفغانستان – مالي ..الخ)، وتنامي النزاعات العرقية والاثنية وتأثيرها على الشرق الأوسط في

---

[1] هادي، محمد عبده، المصدر السابق، ص66.

[2] غليون، برهان، وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر المعاصر، 1999، ص16-17.

[3] نسبت، روبرت، وروبرت بيران، علم الاجتماع، ترجمة جريس خوري، دار النضال للطباعة، بيروت، 1990، ص277.

[4] voir entre autres. Serge latouche du fanatisme, identitaire in le monde, diplmatique may 1999.

كل الصعد. فضلا عن الجانب الثقافي الذي انقسم إلى قسمين ما بين، انتشار الثقافة الغربية (التغريب)، والمحافظة على التراث الثقافي والاجتماعي في العالم. وفي ظل هذه التجاذبات المختلفة فان الهوية أخذت تسير نحو المحلية، من خلال اختفاء جدار برلين واتجاه الدول الأوربية نحو الوحدة، وفي الوقت ذاته تفتت البلقان (يوغسلافيا) وجيكوسلوفاكيا، وازدياد الروح الانفصالية في أفريقيا وآسيا.

ان الإشكالية الثقافية بين الكونية والمحلية تكمن في محاولة القوى الكونية الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية) ان تصبغ الثقافة الكونية بثقافتها المحلية، وتُلبسها ثوبها الاجتماعي ورِدائها الثقافي في الحياة اليومية، بما فيها من سلوك ومراكز وأدوار. وهذا الأمر لا يخلو من غايات وأهداف ومصالح خاصة. وبالتأكيد سيكون تطبيق هذه العملية مفتوحا من خلال امتلاك الولايات المتحدة لمنافذ إعلامية واتصالية عالمية كما ونوعا. وعليه ستكون عولمة المصالح المحلية لا عولمة الديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية الرأي والتعبير والتسامح والتعايش. فهي تجسد ثنائية الأبعاد حين تتجلى في كونية الارتباط ومحلية الأهداف والغايات. في حين ان الثقافة الإسلامية عالمية الغاية والوسيلة، بدءا من وحدة الألوهية في قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) (الفاتحة: 1). مع احترام خصوصية الآخر العرقية والاثنية واللغوية، وكذلك الدينية بقوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (البقرة: 256)، ونرى البشر متساوون في الحقوق والواجبات، فلا فرق بين الأبيض والأسود والأصفر، ولا الغني والفقير، ولا الرئيس والمرؤوس، في نظام اجتماعي قائم على العدالة الاجتماعية بقيمها ومعاييرها. وحرية المعتقد، والانفتاح والمثاقفة المتبادلة علميا ومعرفيا وفكريا.

وعلى الرغم من ذلك فلا مانع من أن نعيش عصرنا، وان نتعامل مع المنطلقات الحضارية لهذا العصر، كما لو كانت مِنّا وإلينا، فهي قيم إنسانية أو أصبحت كذلك، ولذلك فهي ملك لنا جميعا، إذا اقتبسنا منها، وليس لنا محيد... فالاقتباس ليس معناه الاندماج وإقفال الفكر من دون الاختيار السليم وتجاوز

المعطيات التي لا تصلح لهذا المجتمع أو ذاك[1]. أي التركيز على القواسم المشتركة من الثقافات الإنسانية كالقيم والمُثل والمبادئ الأخلاقية ووحدة الألوهية والحقوق الإنسانية والابتعاد عن المُختلِفات التي تسبب وتؤجج الصراعات والصدامات الحضارية، الداخلية منها تتجلى في ثقافة المجتمع الواحد، والخارجية بين ثقافات الشعوب والمجتمعات الإنسانية. وهنا يظهر الفرق بين عالمية الإسلام المنفتح على الآخر واحترام خصوصيته وتفرده المحلي. والعولمة الغربية التي لا تهدف إلى تهميش واستبعاد الثقافات المحلية الأخرى فحسب، بل تصل إلى طمس هويتها وإزالة تراثها وتاريخها لتحقيق مكاسب مادية وضمان استمرار هيمنتها العالمية.

---

[1] الهيتي، هادي نعمان، وخالد حبيب الراوي، نظرة في الاتصال الدولي والعوامل الميسرة لسريانه من الغرب إلى العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص266.

مصادر الفصل الأول

(1) الأسد، ناصر الدين، الثقافة العربية بين العولمة والعالمية، مجلة الأكاديمية، مطبوعات أكاديمية، المملكة المغربية، ع16، 1999.

(2) بركات، نظام محمود، التبادل اللا متكافيء بين الثقافتين العربيـــة والغربيـــة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.

(3) جابر، سامية محمد، علم الإنسان، دار العلوم العربية، بيروت، 1990.

(4) جواد، محمد خلف، العلاقة الإشكالية بين الثقافي والغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع 176، 1993.

(5) حجازي، سمير، معجم مصطلحات العلوم الإنسانية ونظرية الثقافة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2006.

(6) حسن، مصدق، مدخل إلى الثقافة الإسلامية، دار النهضة، سوريا، 2006.

(7) الخريجي، عبد الله، التغير الاجتماعي والثقافي، رامكان، السعودية، 1983.

(8) الخطيب، محمد، الانثروبولوجيا الثقافية، دار علاء الدين، دمشق، 2005.

(9) الداقوق، رضا،العولمة تداعياتها وآثارها وسبل مواجهتها، دارالكتب العلمية، بيروت، 2005.

(10) الدليمي، عبد الرزاق محمد، الإعلام والعولمة، دار مكتبة الرائـــد العلميـــة، الأردن، 2004.

(11) روشيه، غي، مدخل إلى علم الاجتماع العام، تعريب مصطفى دندشلي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، 1983.

(12) الزيدي، مفيد، قضايا العولمة والمعلوماتية في المجتمع العربي المعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003.

(13) سليم، شاكر مصطفى، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت، 1981.

(14) شابيرو، هاري، نظرات في الثقافة، ترجمة محمد العريان، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة–نيويورك، 1961.

(15) الشماس،عيسى، مدخل إلى علم الإنسان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.

(16) عبد الحميد، شاكر، عصر الصورة، عالم المعرفة، الكويت، 2005.

(17) عبد الدائم، عبد الله، دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1998.

(18) عبد الحميد، محمد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القهرة، 2000.

(19) العبيدي، حارث علي، دراسات سوسيوانثروبولوجية، دار غيداء، الأردن، 2012.

(20) غليون، برهان، وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر المعاصر، 1999.

(21) فيذرستون، مايك، ثقافة العولمة،ترجمة عبد الوهاب علوب، مكتبة الأسرة، مصر، 2005.

(22) كلاكهون، كلايد، الإنسان في المرآة، ترجمة د.شاكر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد – نيويورك، 1949.

(23) كوش، دوني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، مراجعة الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.

(24) مجموعة باحثين، ماذا تعرف عن؟ العولمة تحديات الواقع، الأهليـــة، الأردن، 2010.

(25) مجموعة مؤلفين، المطول في علم الاجتماع ، إشراف ريمون بودون، ترجمة د. وجيه سعد، الجزء الثاني، الهيئة السورية العامة للكتاب، وزارة الثقافة، سوريا، 2007.

(26) مصطفى، فاروق محمد،الانثروبولوجيا الثقافية، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984.
(27) معتوق، فريدريك، معجم العلوم الاجتماعية، اكاديميا، بيروت، 1998.
(28) نسبت، روبرت، وروبرت بيران، علم الاجتماع، ترجمة جريس خوري، دار النضال للطباعة، بيروت، 1990.
(29) النوري، قيس، مدارس الانثروبولوجيا، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1991.
(30) هادي، محمد عبده، إشكالية الثقافة – الإعلامية المرئية الوافدة (عبر القنوات والفضائيات)، مجلة التواصل، ع15، دار جامعة عـون للطباعـة والنشـر، اليمن، 2006.
(31) هانس، بيتر، وهارولد شومان، فخ العولمة، ترجمة عدنان عباس علي، عالم المعرفة، (238)، الكويت، 1998.
(32) الهيتي، هادي نعمان، وخالد حبيب الراوي، نظرة في الاتصال الدولي والعوامل الميسرة لسريانه من الغرب إلى العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.
(33) يس، السيد، العرب والعولمة، مركز دراسات الوحـدة العربيـة، بيـروت، 1997.
(34) Alvin L .Bertrand .Basic Sociology, Louisiana State University, Appleton-century-crofts, New York, 1973.
(35) Boas. F, "Anthropology" Encyclopedia of social sciences. Vol, 2, New York, 1930 .
(36) David, L. doing culture-cross cultural communication in Action, Beijing: Foreign Languages teaching and research press, 2001. .
(37) Encyclopedia of social sciences the Macmillan. New York, 1962.
(38) voir entre autres. Serge latouche du fanatisme, identitaire in le monde, diplmatique may 1999. .

الفصل الثاني

بنية المجتمع

- الحياة الاجتماعية
- المبحث الأول: الأسرة

(مفهومها - تحديات العولمة والإعلام للأسرة العربية - الأسرة العربية والغربية..مقاربة سوسيوانثروبولوجية)

- المبحث الثاني: التنشئة الاجتماعية

(مفهومها - طبيعتها - رؤية علم الاجتماع - آلياتها - أنماطها - وظائفها - جماعاتها - أوساطها — مراحلها)

- المبحث الثالث: الضبط الاجتماعي

(ماهيته- أهدافه - مضامينه وأساليبه ووسائله - أنواع الآليات الضبطية)

- مصادر الفصل الثاني

2

الفصل الثاني

بنية المجتمع

الحياة الاجتماعية social life

إن تفاعل الأفراد والجماعات في إطار المؤسسات المجتمعية المختلفة والمتنوعة والمتعددة تتجلى بشكل نشاطات اقتصادية وسياسية ودينية وتربوية واجتماعية، وهذه المناشط ترسم صورة معينة ومحددة لنمط الحياة الاجتماعية داخل المجتمع. وان الحياة الاجتماعية بوصفها أسلوب الحياة وطرائق المعيشة وأنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية التي يكونها الأفراد داخل المجتمع، سواء كان المجتمع مجتمعا محليا أو مجتمعا كبيرا، يمكن أن تعد على أنها ألوان الحياة الاجتماعية الداخلية للمجتمع، وهذه الألوان تمنح المجتمع سمات متميزة تجعله يختلف عن بقية المجتمعات الأخرى[1]. وعلى هذا، فهي بما تتضمنه من لغة وأفكار وسلوك وقيم وأنماط الشخصية سترسم صورة المجتمع وتحدد الإطار العام لخارطته الاجتماعية. وهذه الألوان تمنح المجتمع سمات متميزة تجعله يختلف عن بقية المجتمعات الأخرى[2]. وكذلك ستشكل بنية المجتمع وثقافته العامة والفرعية، والتي تتجلى منها الهوية التاريخية والحضارية، وبالتالي فان أي تغيير يصيب أي جزء أو مفصل سيؤدي إلى تشويه هوية المجتمع وثقافته. وعليه سنسلط الضوء على أهم ركائز البنية المجتمعية، وهي الأسرة والتنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي.

---

[1] الحسن، إحسان محمد، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 1999، ص260.

[2] علي احمد سعيد، أدونيس، صدمة الحداثة، دار العودة، بيروت، ص260.

المبحث الأول

الأسرة

مفهوم الأسرة:

إن شكل الأسرة Family ونطاقها هو انعكاس لطبيعة النموذج الحضاري الذي يسود المجتمع، وقد تغيرت في بنائها ووظائفها تبعا لمراحل التطور الثقافي التي مرت بها المجتمعات البشرية. فالأسرة وحدة اجتماعية مهمة في المجتمع، وغالبا ما تتخذ شكل الأسرة الممتدة Extended Family، وهي ذات طابع أبوي Matrilineal، حيث إن السلطة Authority بيد الأب في إدارة شؤون البيت. وأفراد أسرته جميعاً يخصونه بالاحترام والوقار وينفذون أوامره بكل احترام وإخلاص[1]. والأسرة تساهم في تحقيق طموح الإنسان وأهدافه في التفوق والنجاح من خلال التفاعل الاجتماعي داخل المجتمع. فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه وفطرته، ومنذ الولادة يسعى في أجواء الحب والحنان من قبل الأبوين إلى الامتثال والاندماج في النشاطات الاجتماعية، فيكتسب اللغة والدين والقيم والعادات والتقاليد التي يقرها النظام الاجتماعي. ومع أن المؤسسة الدينية والتعليمية تساهم في تنشئة الفرد، إلا أن المؤسسة الأسرية هي القاعدة التي ينطلق منها الإنسان في بناء حياته الاجتماعية والثقافية. كذلك تقدم الأسرة لأفرادها مكانة ومنزلة اجتماعية في الهرم الاجتماعي للمجتمع. فالأفراد عادة ينسبون إلى أسرهم عرقيا ودينيا، ومن ثم ستساهم بنسبة عالية في تشكيل هوية الفرد الوطنية. وتقوم المؤسسة الأسرية بوظيفة إشباع حاجات الفرد العاطفية والوجدانية والسيكولوجية والاجتماعية. فالحب والحنان والعطف من مصادر الاستقرار النفسي، وإشباع هذه الحاجات لا يتم إلا ضمن بيئة الأسرة. وكلما كانت الأسرة متضامنة ومتماسكة تمكنت من أداء وظيفتها ومهامها الاجتماعية المناطة بها كالوظيفة الإنجابية والتربوية والدينية وغيرها من

---

[1] الصوفي، احمد، خطط الموصل، ج2، مطبعة الاتحاد الحديثة، الموصل، 1953، ص29.

المهام التي تؤديها بشكل مباشر أو غير مباشر[1]. على الرغم من التغير الذي أصاب هذه الوظائف، حيث انسلخت من الأسرة الوظيفة التربوية باتجاه دور العلم، والوظيفة الاقتصادية إلى المصانع والمعامل والشركات، والوظيفة الدينية إلى دور العبادة، وإلخ. ولم تبقى في الأسرة في ظل التحديات المجتمعية والحضارية سوى الوظيفة الإنجابية الفطرية.

تحديات العولمة والإعلام للأسرة العربية:

تعد العولمة من أبرز التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة، وتهدف إلى إزالة الحدود وإذابة الفروقات بين المجتمعات الإنسانية وشيوع القيم الإنسانية المشتركة التي تجمع بني البشر، وتكون البنية التحتية لسيادة آلية رأس المال دون قيود وآلية المعلومات دون رقابة. وبالنظر إلى الجانب الاجتماعي للعولمة، نجد أنها تهدف إلى القضاء على بنية الأسرة وهدمها واقتلاعها حتى تتعطل عن إنتاج الأسر المسلمة، ومحو خصوصيتها المميزة على المستوى الأسري، والقضاء على الإسلام من خلال تفكيك الأسرة المسلمة، والبدء بالمرأة باعتبارها الأساس في البناء الأسري، فظهرت الدعوات إلى تحريرها، كما تم عقد المؤتمرات الدولية التي تستهدف الأسرة والمرأة، منها مؤتمر مكسيكو، ومؤتمر كوبنهاجن، ومؤتمر نيروبي، ومؤتمر بكين عام 1995، ومن قراراتها، تهميش دور الأمومة والزوجية داخل البيت باعتباره دورًا غير مربح، والدعوة إلى تقاسم الزوج والزوجة الأعباء المنزلية وتربية الأطفال، واعتبار الزوجية والأمومة قهرًا للمرأة. وتهميش دور العلاقات الأسرية والتماسك الأسري، والنظر إلى الزواج على أنه علاقة جنسية بين طرفين، كل له استقلاليته وحقوقه. وتقبل المجتمعات ارتكاب فاحشة الزنا وعدم استهجانها، ومساعدة المرأة على الإجهاض بصورة قانونية. والاعتراف بالممارسات الشاذة وغير المشروعة والترويج لها، ومطالبة الحكومات بإيجاد

---

[1] الخالدي، خليل، خصائص المجتمع الموصلي، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، 2006، ص23.

التشريعات التي تسمح بذلك دوليًا، والتي تروج حاليًا تحت مسميات "الصحة الجنسية" و"الصحة الجسدية" و"الصحة الإنجابية"... إلخ. وتكمن خطورة وثيقة مؤتمر بكين في إلزام الدول بتطبيق بنودها بمقابل تمويلها وسد ديونها، من خلال البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وصندوق التنمية الزراعية. وتعد وسائل الإعلام وشبكة المعلومات الدولية (الانترنت) من أبرز التحديات أمام تماسك البناء الأسري، إذ تكشف الملاحظات الواقعية تهافت الشباب نحو مشاهدة الأفلام العربية والأجنبية والبرامج المتنوعة، في التلفزيون والإنترنت وفي بعض القنوات الفضائية التي تنشر الانحلال الأخلاقي والميوعة عند الشباب، وتعزز تقليد الأطفال والشباب للممارسات غير الأخلاقية التي يشاهدونها، وعدم استهجانها، وتقبلها، وتمردهم على القيم الدينية والعادات الاجتماعية السائدة، والسخرية من رجال الدين، وتفشي الرذيلة، والتشكيك في قيم الأمة ومعتقداتها ومكنوناتها. ومن مظاهر العولمة التي بدأت تتفشى في العالم الإسلامي تقليد الأسرة الغربية وتمثل قيمها دون وعي بسلبيات الأسرة الغربية ومزايا الأسرة المسلمة. فقد كانت الأسر الممتدة هي الشكل الأسري السائد في المجتمع العربي الإسلامي إلى حد قريب، وكانت الأسرة المسلمة تمتد لتشمل الأجداد والأبناء والأحفاد، وكان التماسك والترابط بين أفراد الأسرة الممتدة كبيرًا، حيث صلة الرحم وبر الوالدين واحترام الكبير والعطف على الصغير.. وكان الطفل واثقًا من نفسه ومن الآخرين من حوله، يبادلهم الحب بالحب والرعاية بالاحترام والتقدير. ولكن الحال لم يعد كذلك اليوم، فقد أخذ نظام الأسر النووية في الانتشار بمعدلات سريعة على حساب الأسرة الممتدة في جميع أقطار وطننا العربي في النصف الثاني من القرن العشرين، تقليدًا للغرب. وتحول الاهتمام إلى الأسرة الصغيرة بتوجيه من الأب والأم الذين بدءا يكونان كيانًا متقوقعًا انعزاليًا. وسيطرت الاهتمامات الفردية والمصالح الشخصية على أفراد الأسرة، على حساب الاهتمام الجماعي والترابط الأسري والشعور بالمودة والتراحم والتعاطف تجاه أفراد الأسرة الآخرين، فانقطعت صلة الرحم وتفشى عقوق الوالدين والتمرد عليهم، واشتد

الصراع بين أفراد الأسـرة، واتسـعت الهوة بين الآباء والأبنـاء وظهـر علـى السطح ما يسمى بصراع الأجيال، واستعصى في حالات كثيرة على الحل، وظهـر ضعف التماسك الأسري وفقد مناعته، وتقلصت مهمة الأسرة إلـى حـد الرعايـة الجسمية دون التربية الاجتماعية والنفسية والدينية. كما سـاد الاهتمـام بالجوانـب المادية على حساب الجوانب الروحية والدينية، فصار الهم الأكبر لأفـراد الأسـرة يتمثل في كسب المال وشراء الأثاث والسيارات الفاخرة والسفر والرحلات وإقامـة الحفلات والسهرات، وبدأت الأسر تتفاخر في ممتلكاتها المادية، مما افـرز وانـتج ثقافة استهلاكية بطرازها المادي والمعنوي. وانعكس ذلك سلبا على القيم الاجتماعية السائدة، حتى أصبح تقييم المجتمع للفرد يعتمد على ممتلكاتـه الماديـة ومظهـره الخارجي على حساب الجوانب الأخرى لشخصيته. ويتفـاوت أثـر العولمـة فـي مجتمعاتنا العربية الإسلامية من بلد لآخر، ومع ذلك يمكن القـول: بـأن تحـديات العولمة تقتضي إبداعات فكرية، وتنويرًا أيديولوجيًا مستمرًا، وتنويرًا فقهيًا يسـاعد الأسرة على شق طريقها وسط هذه التحديات بأمان واقتدار.

الأسرة العربية والغربية..مقاربة سوسيوانثروبولوجية:

من خلال الحقائق والمعطيات الاجتماعية التي جاءت بتأكيدات غربية للواقع الغربي، سنحاول وضع رؤية موضوعية لأهم الظواهر الاجتماعية فـي المجتمـع الغربي، في محاولة متواضعة لنفهم طبيعة الحياة الاجتماعية اليومية الغربية مقارنة بالعربية الإسلامية في إطار نظامها الاجتماعي وسياقها الثقافي. ومن خـلال ذلـك سيتبين لنا نمط التنشئة الاجتماعية الأسرية الغربية، والتي تنتج الشخصية الغربيـة بسماتها السيكولوجية والاجتماعية والثقافية، التي يعكف المجتمـع الغربـي علـى تقديمها إلى مجتمعاتنا العربية والإسلامية على أنها الأنموذج الأمثل من خلال آليات العولمة الثقافية الأحادية (أمركة العالم). إن الحضارة الغربية قد تسببت في تحطـيم الأسرة من خلال ارتفاع نسبة الطلاق وانخفاض حالات الزواج وازديـاد المواليـد

غير الشرعيين وارتفاع نسبة الأسر القائمة على والد واحد (الأم)[1]. ويؤكد (فوكوياما في كتابه التصدع العظيم) على أن الولايات المتحدة وغيرها من الدول المتقدمة قد تعرضت إلى تغيير عميق عندما انتقلت من المجتمع الصناعي إلى المجتمع المعلوماتي/ الرقمي، فقد أصبحت المعرفة وليس الإنتاج، هي أساس الثروة والقوة والتفاعل الاجتماعي، وفي الوقت ذاته شهدت المجتمعات الغربية ارتفاعا في مستويات الجريمة وتغيرات في مستوى الخصوبة وهيكلية العائلة وانخفاض مستويات الثقة وانتصار الفردية على الروح الجماعية، كما تركت الثورة الصناعية أثارا وتغيرات في جذره الاجتماعي[2]. وهذا يؤكد على أن الواقع الاجتماعي الغربي يعاني نسبيا من مشكلات متنوعة ومختلفة، تتطلب الوقوف عندها لتفحصها وتمحيصها وتحليلها للوصول إلى فهمها فهما موضوعيا، ومن ثم نحكم على واقعنا الاجتماعي.

أولا: الزواج

إن مستقبل المجتمع الغربي قد يكون مجهولا من الناحية الاجتماعية والديموغرافية، بسبب الإحجام الكبير للفرد الغربي عن الزواج سواء كان الرجل أم المرأة، مما يهدد باندثار الأسرة مستقبلا. ولحد الستينيات من القرن العشرين لم تكن المرأة في النظام الأمريكي والأوروبي قادرة من الناحية القانونية على المشاركة في إنشاء أي عقد من العقود التجارية دون إذن زوجها. وفي النصف من القرن ذاته وصلت حالة العنف بين الزوج والزوجة في المجتمع الأمريكي إلى درجة بحيث وضعت المؤسسة العائلية على قمة المؤسسات الاجتماعية الأمريكية التي تمارس العنف والإجرام[3]. ففي بريطانيا أصبح الزواج مخيفا جدا ومن الصعب أن يقدم

---

[1] بيجوفيتش، علي عزة، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة محمد يوسف عدس، مجلة النور، مؤسسة بافاريا، ألمانيا والكويت، 1993، ص118.

[2] فوكوياما، فرانسس، التصدع العظيم، ترجمة عزة حسين كبة، بيت الحكمة، بغداد، 2004، ص5.

[3] ميشيل، كوردن، العائلة الأمريكية من زاوية اجتماعية ــ تاريخية، نيويورك، 1983، ص58.

الناس عليه ووصلت نسبة الطلاق 40% وان 20% من النساء لا يفكرن في الإنجاب، ويفضلن إنفاق أموالهم على الترفيه والمتعة الذاتية[1]. ويشير (نيكسون) بأن "الطلاق ازداد أربعة أضعاف، وأصبح طفل واحد من كل (8) يعيش على حساب الرعاية الاجتماعية"[2]. وفي الولايات المتحدة وصلت نسبة الطلاق 60% من عدد الزيجات، وفي فرنسا أكثر من 40% من الولادات تسجل خارج مؤسسة الزواج، ووصلت نسبة المراهقات الحوامل إلى (30) فتاة من كل (1000)، أعمارهن بين (15-19) سنة[3]. إن هذه النسب تعكس مدى رفض الأفراد للارتباط وتحمل المسؤولية ماديا ومعنويا، وتفضيل العيش سوية بصورة غير شرعية وغير رسمية تحت مفهوم الصداقة، وهو ما أدى إلى انتشار مفهوم الزواج التجريبي (العيش مع الشريك لعدة أشهر 3-8) كمرحلة اختبار وتجربة للوصول إلى انسجام. وقد أشار (توفلر) إلى "انتشار هذا النوع من الزواج بين الكثير من المفكرين ورجال الدين"[4]. وهذا ما أكدته كذلك (موراي) في تقريرها إلى "ارتفاع نسبة الزواجات التجريبية إلى امرأة من كل أربعة نساء تعيش مع رجل دون زواج، وان الأسرة البريطانية التقليدية المكونة من أبوين أصبحت أكثر ندرة، وان زوجاً (رجل أم امرأة) من بين كل (5) أزواج لا يعيشون تحت مظلة الزواج"[5]. ويبحث الأفراد عن فرص للعمل حتى لو كان ذلك البحث يكلفهم كسر العلاقات الأسرية مع أرحامهم، النساء المتزوجات من الطبقة المتوسطة والعليا يذهبن للعمل حتى مع معارضة أزواجهن، وبعد ذلك يتركن زواجهن المليء بالتعاسة، وأحيانا يتركن أطفالهن مع أزواجهن ويذهبن للبحث هن حياة جديدة فيها عمل وظيفي، الأزواج

---

[1] Lesely wite. the times, July, 1996.

[2] نيكسون، ريتشارد، ما وراء السلام، ترجمة مالك عباس، الأهلية للنشر، الأردن، 1995، ص 186.

[3] كردي، علي، الغرب من الداخل، مجلة الأقلام، السنة الخامسة، **2007**.

[4] Toffler. future shock.(ed). new york: batmam books aluien-1971, p.254.

[5] Ian marray, amarriage rate slumps as more alien-single–life.(ed). in the times, april,29,1993.

يتركون زوجاتهم اللاتي بذلن حياتهن كربات للبيوت. ووجود الأطفال لا يردع الزوجين عن التفكير بالطلاق ... والابن الأكبر لا يترك الجامعة لمساعدة أبويه أو إخوته المحتاجين، بل يتركهم وحاجاتهم ويذهب لتأسيس مستقبله بعيدا عن العائلة. الشباب يختارون حياة زوجية أو حياة منحرفة حتى لو عارض الأبوان ذلك[1]. وتختلف أشكال العلاقات الاجتماعية فيما يتعلق بالزواج والعائلة والنسب من مجتمع لآخر، فلكل مجتمع على الأغلب شفرة أخلاقية تشير إلى منع التزواج بين أفراد العائلة الواحدة، كحرمة التزاوج بين الإخوة والأخوات والأبناء والأمهات مثلاً. ففي المجتمع الرأسمالي يحرم النظام القضائي على الفرد التزوج من الأم، والجدة، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، وبنت الأخ، وبنت الأخت، وفي تسع وعشرين ولاية من الولايات المتحدة يحرم القانون الزواج بين أبناء وبنات الأعمام ويعتبره غشيانا للمحارم[2]. ويبحث الأفراد عن فرص للعمل حتى لو كان ذلك البحث يكلفهم كسر العلاقات الأسرية مع أرحامهم، النساء المتزوجات من الطبقة المتوسطة والعليا يذهبن للعمل حتى مع معارضة أزواجهن، وبعد ذلك يتركن زواجهن المليء بالتعاسة، وأحيانا يتركن أطفالهن مع أزواجهن ويذهبن للبحث هن حياة جديدة فيها عمل وظيفي، الأزواج يتركون زوجاتهم اللاتي بذلن حياتهن كربات للبيوت. ووجود الأطفال لا يردع الزوجين عن التفكير بالطلاق... والابن الأكبر لا يترك الجامعة لمساعدة أبويه أو إخوته المحتاجين، بل يتركهم وحاجاتهم ويذهب لتأسيس مستقبله بعيدا عن العائلة. الشباب يختارون حياة زوجية أو حياة منحرقة حتى لو عارض الأبوان ذلك[3]. ولاشك أن إيمان العائلة الأمريكية بالنظرية الرأسمالية كان قد أوقعها في وضع مأساوي خطير، بسبب افتقاد النظرية لمنهج موضوعي ينظم

---

(1) يوربيرك، بتي، دور الغريزة الجنسية في التغير الاجتماعي، نيويورك، وايلي، 1974، ص53.

(2) غوردن، ميشيل، العائلة الأمريكية، الماضي، الحاضر، والمستقبل. نيويورك، 1978، ص123.

(3) يوربيرك، بتي، المصدر السابق، ص53.

الحياة العائلية ويساهم في بنائها العلوي[1]. وان فقدان الأب يعد أكثر الاتجاهات الديموغرافية إيلاما للجيل الغربي، وهو السبب الأول لتراجع صحة الطفل الأمريكي، والدافع لكثير من المشكلات الاجتماعية من الجريمة إلى التحرش الجنسي بالأطفال[2]. وما يهدد الأسرة أيضا ارتفاع عدد الشاذين جنسيا وإصرارهم على الزواج من نفس الجنس، وقد سنّت بعض الدول الأوروبية تشريعات تشجع بزواج هؤلاء مثل هولندا وبريطانيا، وان بعضا من هؤلاء الشاذين اخذ يتبنى أطفال مما يشكل صورة جديدة للأسرة[3]. وهذا يخالف الفطرة البشرية والإرادة الإلهية والحكمة السمحاء، حيث تكون الأسرة مؤلفة من الأب والأم من نفس الجنس مع الابن. أما الانحراف العائلي في الرأسمالية، فهو يتخذ وجهين، الأول: زواج الرجال بالرجال، والثاني: زواج النساء بالنساء. وهذا الانحراف يمثل عشرة بالمائة من إجمالي عدد العائلات الأمريكية أي حوالي خمسة وعشرين إلى ثلاثين مليون إنسان في العقود الأخيرة من هذا القرن العشرين[4].

إن المجتمع الغربي يتسم في عمومه بتفكك البنية الأسرية، والمظاهر تتجلى بارتفاع نسبة حالات الطلاق والهجر والميل نحو الزواج التجريبي وتفضيل العيش ضمن مفهوم الصداقة بدل الزواج، وذلك لأسباب عدة، منها مادية اقتصادية وأخرى معنوية اجتماعية، تعود إلى تفكك الأسرة وضعف العلاقات الاجتماعية وازدياد المشكلات الاجتماعية وغياب الجانب الروحي الأسري، لقلة متابعة وإرشاد الأبناء، بسبب انشغال الوالدين في العمل لسد النفقات الكثيرة المستحقة على الأسرة، لصعوبة تفرغ الأم للتنشئة الاجتماعية، وعدم الرغبة بتدخل الجد في التوجيه لان

---

(1) سار ليفيتان وريتشارد بلوز، ماذا يحصل للعائلة الأمريكية؟ جامعة جونز هوبكنز، 1981، ص153.

(2) David balm kenkorn, fatherless america cbasic books, newyork, 1995,P.1-18.

(3) Toffler. future shock...p.247.

(4) وينبرك، مارتن، وكولن وليايمز، الرجال المنحرفون جنسيا، مشاكلهم وطرق تقبلهم، جامعة اكسفورد، 1984، ص231.

المجتمع في تغير مستمر[1]. وان عامل المساواة بين الرجل والمرأة قد أنهك المرأة كثيرا، بسبب تقاسمها معه في كل شيء بما في ذلك العمل والنفقات والضرائب وبدل الإيجار في السكن. في حين إن الإسلام قد فرض على الرجال قوامة النساء في حياتهن المادية والمعنوية، ولهن الخيار في العمل والتعاون والمشاركة في الجانب الاقتصادي للحياة الزوجية، من دون إكراه أو إجبار في تقاسم النفقات المادية والمالية مع زوجها. ومع ذلك يطالبون المجتمع العربي الإسلامي بإعطاء حقوق المرأة من الحرية والعمل والتعليم وغيرها. لكن الحقيقة بان الهدف هو تفكيك مرتكزات المجتمع وضرب مفاصله التي تمثل المرأة الحجر الأساس فيه، لأنها الأم التي تُخرّج الأجيال، منهم القادة والعلماء الأكفاء والسياسيين الوطنيين في محافظتهم على ثقافتهم وحضارتهم المستمدة من تراثهم الديني والأخلاقي والاجتماعي الأصيل. إن المرأة لها مكانة ومنزلة ووقار في المجتمع العربي والإسلامي بصورة عامة. فتجد الفرد العربي والمسلم يسامح في كل شيء إلا بشيء يمس المرأة، فهي مركز الشرف والعفة والفخر والفضيلة. فنرى مثلا كلما تقدم بها العمر ازدادت اهتماما واحتراما من أفراد الأسرة والأقرباء، بدءاً من الزوج إلى الابن إلى الأخ إلى الحفيد، لان القيم الروحية هي مقياس المحبة. لتصل أمنيات احدهم تنحصر أولوياتها في كسب الرضا والقبول من الأم ودعائها له، فيسعى جاهدا لخدمتها. في حين أن المرأة الغربية تعاني نسبيا من الوحدة والعزلة الاجتماعية، وان اغلبهن يجدن أنفسهن وحيدات بعد تقدم العمر بسبب ضعف العلاقات والأواصر القرابية، فضلا عن أن مقياس وجودها وعلاقاتها مع الآخرين غالبا ما يكون الجمال الجسدي، وهو نسبي لان العمر له أحكامه في إنهائه وتشويهه، بدل الجمال الروحي المطلق الدائم، فعندها نرى معظمهن مدمنات يسعين إلى الهروب من الواقع، أو تجدهن في دور الرعاية الاجتماعية لا يتذكرهن احد إلا في مناسبات أعياد الميلاد

[1] سمث، براد فورد، الإنسان الأمريكي، ترجمة تماضر توفيق، دار البلاغ، بيروت، د.ت، ص77.

بمكالمة هاتفية أو بطاقة تهنئة أو زيارة شخصية. إن أهمية العائلة قد تضاءلت فعلا في جميع المجتمعات المتمدنة تقريبا[1].

ثانيا: الأسرة

أكدت الإحصائيات الرسمية الغربية بان الأسرة تتجه نحو الاندثار وان حجمها بدأ يتناقص لأسباب منها، الإحجام الكبير عن الزواج والاتجاه نحو صرف المال على اللذة والمتعة الشخصية والخوف من تحمل المسؤولية المادية للشريك، لطغيان النزعة الفردية المغلفة بمفهوم الحرية المقدس، والتي تقع في أعلى الهرم الأخلاقي في المجتمع الغربي كمعنى من معاني الأخلاق بحسب الفلسفة الأخلاقية الغربية التي أنشأها الفلاسفة والعلماء الغربيين كأساس لنظام اجتماعي ونمط ثقافي تسير عليه الحياة الاجتماعية اليومية، يقابله مبدأ العدالة وقيمها ومعاييرها في النظام الإسلامي.

وفيما يتعلق بسلطة الوالدين فهي تتصف بالضعف عموما، لان القانون الرسمي يمنع أي شكل من أشكال التدخل والضغط من الوالدين تجاه الأبناء، والاكتفاء بالحوار والتوجيه في التنشئة الاجتماعية. ليصل الطفل بان لا يُلقي بالاً لأوامر والديه، بل يجب إن يؤكد فرديته وحقه في أن يقرر مصيره بنفسه ليثبت للعالم بأنه نضج وكبر[2]. وفي الوقت ذاته فان وسائل الإعلام تمارس دورا سلبيا مؤثرا في غرس مفاهيم الإباحية من خلال برامجها وما تضمنته من سموم للأطفال. وعندما يتدخل الوالدين لمنعهم فان القانون الرسمي والسلطة تقف بوجههم من خلال مؤسسة رعاية شؤون الأسرة، لتهدد بسحب الأطفال منهم، مما يساعد في غرس سلوكيات خارجة عن المسار الاجتماعي المألوف كالسرقة والتحرش والاغتصاب لضعف الرادع النفسي والأسري والاجتماعي والديني. إن معظم مظاهر المجتمع الغربي تشجع على الانغماس في الجنس والرذيلة وتدعو إلى الظن

---

[1] فوكوياما، فرانسس، المصدر السابق، ص67.

[2] سمث، براد فورد، المصدر السابق، ص77.

بان من لم يمارسه لا يعتبر ناميا أو ناضجا، والفتاة تكون أكثر حذرا لأسباب بيولوجية واجتماعية، بعكس الفتى الذي يحاول إن يثبت رجولته في الغزو، فإذا فشل، أو على الأقل فشل في المحاولة فهذا يعني انه شاذ، أما إذا نجح فانه يعتقد بان عدد مرات نجاحه هي الامتحان الحقيقي لرجولته[1]. وهذه نتائج طبيعة لقيم اجتماعية تكفلها وثيقة الأمم المتحدة (تمكين الطفل)، التي تؤكد على خروجه عن سلطة أبويه وحقه في التصرف بجسده ذكر أو أنثى[2]. لتزداد نسبة التخنث ومظاهره في تحول عدد غير قليل من الرجال إلى النساء وبالعكس، أو التشبه بهن بوضع مساحيق التجميل والأقراط والإكسسوارات.

ثالثا: القيم والسلوك الاجتماعي

إن الثقافة الغربية غالبا ما توصف بالتعالي على الآخر، فتصف الإنسان الأمريكي بأنه فوقي ومتعالي وانه البطل الأوحد (السوبرمان)، ويتسم بسمات الشباب والمثقف والمتحدث والناشط الفعال والمتفوق الناجح ، لكنه يتنكر للسكان الأصليين بوصفه لهم وكأنهم محتلين وهو مقاوم حين يقول احدهم وهو يصفهم "قوم تغلبوا على ارض عذراء وعرة وقاوموا الهنود وسنوا قوانينهم"[3]. وكأن العالم لا يعلم بان أمريكا نشأت وتأسست على جماجم الهنود الحمر (السكان الأصليين) ومازالت تتوسع بامتصاصها دماء الإنسانية. أما العنصرية الضمنية في الوعي الأوربي فقد جعلته لا يعترف إلا بذاته وينكر وجود كل غير له فهو مركز العالم احتل صدارته وله مركز الريادة فيه[4]. إنها ثقافة التعالي على الآخر ومحاولة فرض ثقافة واحدة عليه وإزالة ثقافته وطمس هويته واستبدالها بأخرى هجينة غريبة عن واقعه وتاريخه وحضارته.

---

[1] سمث، براد فورد، المصدر السابق، ص78.

[2] حبيب، كمال السعيد، الاستراتيجية الأمريكية الجديدة تجاه العالم العربي والإسلامي، مجلة أخبار العرب، 2002، ص22.

[3] سمث، براد فورد، المصدر السابق، ص58.

[4] حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية، ط2، بيروت، 2000، ص104.

من القيم الغربية الأساسية (تقدير الوقت) فهو كالمال، ونرى تقييم الوقت عند معظمهم في حملهم مفكرات صغيرة يدونون برنامجهم اليومي في أوقات (المدرسة – الطبيب – الأصدقاء –الباص– الخ)، فكل دقيقة محسوبة كلفتها في ثقافتهم وهذا قد يفسر ارتفاع أجور الأيدي العاملة كواحد من الأسباب. أما الفرد الشرقي فيظن بان الوقت بحيرة من الماء الساكن لا نهر متدفق[1]. ومن عادات الفرد الغربي انه يتعامل منطقيا وواقعيا مع الآخرين ولا يأخذ الأمور بصفة شخصية بل ينطلق من تحليل واقعي وهذه صفة الأغلبية بصورة عامة. فمثلا لا نعجب عندما يقوم مدراء احد الأقسام باتخاذ قرار بفصل احد اعز أصدقائه قائلا له بان ذلك لا علاقة له بصداقة التي يعتز بها. في حين نجد في مجتمعنا المحسوبية والمنسوبة في التوظيف والتعيين والمعاملات قد نخرت جسد المجتمع والمؤسسات الرسمية عموما ليعاني من اكبر نسبة فساد إداري ومالي بين المجتمعات.

ومن العادات الاجتماعية، الرشاقة والمساواة في اللغة والخطاب، فحين تسأل احدهم سؤال فانه يجيبك مباشرة دون الدخول في تفاصيل ثانوية بعيدة عن السؤال الأساس بعكس الفرد الشرقي الذي يجيبك (بـ لماذا؟) أولا، ثم يسهب ويستطرد في أشياء كثيرة قبل إجابتك. فاللغة الأمريكية لغة مساواة ليس فيها تعقيدات تنم عن فروق طبقية أو تأديبية، واكبر موظف (رئيس الجمهورية) يطلق عليه (mister) أو حتى ينادى باسمه مجردا من أي لقب بعكس الألماني أو الياباني أو العربي الذي يرى ذلك عدم احترامه[2]. إن الغربيين يعجبون لمفهوم الكرم عند الشرقيين ، فمثلا حين يحل الغربي ضيفا على احد وجهاء العرب ويعجب بلوحة جميلة معلقة على الحائط ثم يجدها بين أمتعته عند مغادرته البلد كهدية متواضعة من بيت ذلك المضيف العربي الكريم، في حين أن الغربي لا يتنازل عن حصته من الفاكهة لابنه الصغير مدعيا بأنه حصل على حصته منها يوم أمس مثلا.

---

(1) سمث، براد فورد، المصدر السابق، ص414.

(2) المصدر نفسه، ص157.

رابعا: التعليم

التعليم في أمريكا مثلا ليس نظاما فالحكومة الفدرالية لا سيطرة ولا سلطة لها عليه، وليس للتعليم رئيس واحد أو جداول تسري على الجامعات ونظام معين لاختيار المدرسيين والأساتذة أو نسب نجاح معينة للخريجين تسري على البلاد كلها، أو كتب موحدة تدرس في المدارس بل أن كل هذه تختلف من بلد لآخر ومن ولاية لأخرى ، وكل جامعة لها الحق في اختيار أهدافها وطريقة الوصول إليها والسلطة المحلية هي الوحيدة التي تقرر نظم التعليم[1]. والتعليم إجباري مجاني حتى سن (16) سنة[2]. ولا يمكن إن نطلق اسم (كلية أمريكية) على واحدة أو جامعة واحدة، ففي أمريكا أكثر من (2000) جامعة ومعهد عال لا تتشابه اثنتان منها[3]. في حين نجد الجامعات والمدارس في المجتمعات العربية والإسلامية تعاني من الرتابة وقدم المصادر العلمية واستخدام التقنيات القديمة وعدم تحديث المناهج الدراسية ووحدتها، والتي تصبح معوقة للعمل العلمي والبحثي وتخلفه نسبيا عن الجامعات الغربية، وما زال الاعتماد على الطرائق القديمة في التدريس وسيطرة السياسة على التعليم سيما التعليم العالي.

خامسا: الاقتصاد

إن الطراز العمراني الغربي المتطور والمتقدم في تقنياته جعل الكثير من أفراد المجتمعات الناحية إلى الهجرة والإقامة فيه. لكن هذا التطور لا يخلو من سلبيات ومشكلات بيئية لارتفاع نسبة التلوث والاحتباس الحراري الذي يهدد حياة الفرد وصحته لان الغاية الأساس هي الربح الفردي على الأغلب. ومشكلات اجتماعية تتمثل في جعل المجتمع ماديا بكل صورة حتى بات الإنسان فيه مغتربا لسيادة الآلة في المصانع مما سبب تسريح الكثير من العمال وخلق البطالة لنسبة

---

(1) سمث، براد فورد، المصدر السابق، ص152.

(2) المصدر نفسه، ص160.

(3) المصدر نفسه، ص166.

عالية من الأفراد لاسيما بعد الأزمة المالية العالمية. إن التحول التكنولوجي الذي يجلب معه "الهدم الخلاق"، حسب تعبير الاقتصادي (جوزيف شومبيتر) لا يمكن إلا أن يسبب تصدعاً مماثلاً في عالم العلاقات الاجتماعية[1].

إن الاقتصاد الغربي القائم على حرية القطاع الخاص وسيادته في الاستثمار في مؤسسات الدولة الخدمية وعدم تدخل الحكومة إلا نادرا، جعل من أقلية تسيطر على الثروات وتحكم الأغلبية لهذه الملكية والربح الفردي ولا غيره دون الاكتراث لمصلحة العامة من المجتمع وهو ما أوقع المجتمع الغربي بكارثة الأزمة المالية العالمية وانهيار مئات المصارف والبنوك الرئيسية التي يرتكز عليها اقتصاد الدولة، وهو ما خلق مشكلات اجتماعية في السكن والصحة والتعليم لاعتمادها على التامين من البنوك. إن الفقر المتزايد أو التفاوت في الدخل وتنامي الثروات والتركيز على دولة الرفاهية الحديثة ، فضلا عن التحول الحضاري الواسع الذي يتجلى في ضعف الوازع الديني وتعزيز الفردية والذاتية على حساب الالتزام نحو المجتمع والمجموعة[2]. تعد اهم العوامل المسببة للتصدع الاجتماعي العظيم في المجتمع الغربي. وإن هذه النزعة المادية دفعت عدد من الباحثين إلى الذهاب والاتجاه نحو الشرق بحثا عن الجانب الروحي والمعنوي المفقود على الرغم من التشويه الذي افتعله معظم المستشرقون على إن الشرق يتسم بالبربرية والهمجية والتخلف والجنس، لنراه يطالب بتدريس القيم الأخلاقية في المدارس وضرورة فصل الأولاد عن البنات في المدارس وضرورة عودة المرأة إلى البيت وتطبيق القوانين الصارمة على المجرمين للحد من الجريمة.

في ظل التنوع والتعددية الثقافية في المجتمع الغربي والاختلافات الكثيرة في اللغة والدين والقومية والتاريخ والبيئة، نرى أوربا قد توحدت والشعب الأمريكي بتنوعه الثقافي وتعدديته يحتفظ بثقافة تجمعهم دون فوضى ولا تفقدهم شخصيتهم

---

[1] فوكوياما، المصدر السابق، ص10.

[2] ينظر المصدر نفسه، ص 76.

وتقربهم تاركة حق الاستمتاع بهذا الاختلاف وفي الوقت نفسه الانطواء تحت لـواء شعب من الشعوب في ثقافة تحتوي الجميع وتستوعبهم تحـت ظـل المواطنـة لا القومية والمذهبية، فهي دولة الدول تجد فيها جميع اللغات الأصلية في العالم، ويقول الرئيس الأمريكي روزفلت " نحن هنا كلنا مهاجرون"[1]. وفيها أكثـر مـن (250) مذهب واتجاه ديني يتبع بعضها ملايين وبعضها عشرات ويعتمد بعضها على التأمل وبعضها الآخر على الصخب والصراخ[2]. وبوجود تناقضات في المفـاهيم إلا إن الحياة تسير وفق نظام اجتماعي ونمط ثقافي يجمع الجميع .

ألا يفترض بنا إن ننظر إلى هذه التجارب الغربية على أنها تجارب تسـتحق الإفادة من ايجابياتها التي تتفق وقيمنا الأخلاقية والاجتماعيـة والثقافيـة ومعرفـة سلبياتها لتجنبها والابتعاد عنها وتركها وتحصين مجتمعنا منهـا لتحقيـق التنميـة الاجتماعية والثقافية للمجتمع. فالمجتمع الغربي يتسم في عمومه بأنه متطور ومتقدم ماديا وتقنيا، متخلف ومفكك اجتماعيا. وإن الأسرة الغربية مهددة بالاندثار وتتسـم بصغر حجمها الذي يأخذ بالتناقص. وإن شرائح عديدة من المجتمع الغربي تؤكد إن سبب كثير من مشكلاتهم الاجتماعية هي الحرية المطلقة وغير المحدودة. وعمومـا الغرب يتسم بضعف علاقاته الاجتماعية وأواصره القرابية التـي تتسـم بالماديـة والمصلية والربحية والفردية. وان وضع المرأة بصورة عامة سلبي وهي تعاني من سوء المعاملة وعدم الاحترام مقارنة بالمرأة الشرقية.

وإذا كان هذا واقع المرأة والزواج والأسرة في المجتمع الغربي فكيـف هـو حال التنشئة الاجتماعية الأسرية؟ إذا ما علمنا أن الأسرة نواة المجتمع، فإنْ صلحت صلح المجتمع، ومما لا شك فيه أن الواقع المجتمعي سيعج بالانحرافـات والجـنح والجرائم، بسبب ضياع الأسرة وتصدع بنيتها وتمزق نسيجها وتنظيمها.

---

[1] براد فورد سمث، المصدر السابق، ص25-33.

[2] المصدر نفسه، ص134.

المبحث الثاني

التنشئة الاجتماعية

تعد التنشئة الاجتماعية Socialization من أهم العمليات النفسية والاجتماعية والتربوية والأخلاقية والثقافية التي يحتاجها الإنسان في مختلف مراحله العمرية، لبناء شخصيته وتنميتها من خلال اكتساب المفاهيم التربوية والاجتماعية والأخلاقية عبر عدة قنوات مؤسساتية رسمية أو غير رسمية. فهي مستمرة ومتغيرة بحسب الزمان والمكان، وترتبط بنوع النظام الاجتماعي السائد في المجتمع، فضلا عن الإطار الثقافي الذي يعد المرجع والموجه للسلوك الإنساني في الحياة الاجتماعية اليومية. ولهذا ارتأينا تسليط الضوء على نمط التنشئة الاجتماعية الأسرية في ظل متغيرات العصر وتحدياتها، مما يفرز انعكاسات وأبعاد سواء على مستوى الشخصية أو البنية الأسرية، فضلا عن تقديم مقاربة بين واقع الأسرة العربية الإسلامية والأسرة الغربية.

مفهوم التنشئة الاجتماعية:

لا جدال في أن التنشئة الاجتماعية تهدف إلى إكساب أنماط من السلوكيات المقترنة بالضوابط العُرفية والأخلاقية من قيم وعادات وتقاليد. وبما أن الشعوب والمجتمعات لكل منها نظامها الاجتماعي والتربوي، فضلا عن نمطها الثقافي الذي يشكل الإطار المرجعي لسلوك أفرادها، وكذلك يعد الموجه لتصرفاتهم في مراحل حياتهم الاجتماعية اليومية في تفاعلهم الاجتماعي اليومي مع أفراد المجتمع، فان نمط التنشئة الاجتماعية تتأثر بثقافة المجتمع العامة التي تتسم بسمات منها التراكم والاستمرار والتغير بفعل عوامل عدة، منها داخلية كالاختراع والاكتشاف والتجديد، وأخرى خارجية كالتجارة والهجرة والاستعمار بأشكاله، فضلا عن وسائل الاتصال. إذن وسائل الاتصال يمكن أن تعد إحدى قنوات التنشئة الاجتماعية التي يتشرب منها الفرد الأفكار والخبرات والسلوكيات، وهذه بمجموعها تحمل عناصر ثقافية مختلفة،

منها ما يتقاطع ومنها ما يتفق مع المنظومة القيمية ومعاييرها الأخلاقيـة والدينيـة والاجتماعية والأخلاقية.

يمكن تعريف التنشئة بأنها العملية التي يتم مـن خلالهـا غـرس الأفكـار والمعارف في ذهن الأبناء منذ المراحل العمرية المختلفة في البيئتـين الاجتماعيـة والطبيعية والتي تشتمل على الأوامر والنواهي والتحليلات والتحريمات التي تأخـذ شكل مفاهيم ومصطلحات، بهدف تشكيل شخصية الفرد ومساعدته على التكيف في المجتمع. فبعد أن كانت الأسرة تعد القناة الأساسية في غـرس القـيم الاجتماعيـة والسلوكيات السوية، وفي مجتمعنا العراقي أصبح الطفل الآن يستقبل هذه المفـاهيم من قنوات أخرى، كوسائل الإعلام والشارع والزقاق، والـذي يزخـر بالمشـاهد المأساوية كالفقر والبطالة والتهجير والانحراف والجريمة والقتل.

أولا: طبيعة التنشئة الاجتماعية socialization

تعد التنشئة الاجتماعية من المفاهيم المهمة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس، والتي دفعت العديد من العلماء والباحثين الاهتمام بها ودراستها. وقـد استعملت كلمة التنشئة في الأدب الإنكليزي عام 1828، وكان المقصود بها تهيئـة الفرد بان يتكيف ويعيش ويتفاعل مع المجتمع[1]. ويمكن تعريفها بأنها العملية التـي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل، والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منـذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة، ويدخل في ذلك ما يلقنـه الآباء والمدرسة والمجتمع للأفراد مـن لغـة وديـن وتقاليـد وقـيم ومعلومـات ومهارات..الخ[2]. وكذلك تعرف على أنها عملية التفاعل التي تتم خلالهـا تكيـف الأفراد مع بيئته الاجتماعية وتشكله ليتمثل معايير مجتمعه وذلك من خـلال نقـل

---

[1] دنكن، ميشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980، ص328.

[2] بدوي، احمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت: مكتبة لبنان، 1982، ص400.

التراث الثقافي والاجتماعي[1]. أي تكيف الشخص مع بيئته الاجتماعية[2]. وبالتـالي تحويل الكائن البيولوجي إلى شخص اجتماعي عبر جماعات اجتماعية متنوعة فـي نوعها لكنها مترابطة في وظائفها[3]. وكما عبر عنها العلامة العربي ابن خلـدون بأنها "أنسنة الآدمي بوساطة عمل المربي"[4]. ويمكن تعريفها " أنها العملية التي يتم فيها تحويل الكائن البيولوجي إلى شخص من إكسابه الشخصية الإنسـانية بسـماتها النفسية والاجتماعية والثقافية ".

اهتم الباحثين والمختصين في مجالات العلوم النفسية والتربوية والاجتماعيـة والانثروبولوجية بالتنشئة الاجتماعية وآلياتها وأنماطها لما لها من أهمية في تنميـة شخصية الإنسان بسماتها النفسية والمعرفية والروحيـة والوجدانيـة والاجتماعيـة والثقافية والحضارية.

ثانيا: رؤية علم الاجتماع في التنشئة الاجتماعية

يرى علم الاجتماع رؤية أحاطت تنشئة الفرد عبر مراحل عمره في الحيـاة، وشملت مرحلتين لتنشئة الفرد عبر حياته، فضلا عن رؤية أخرى كشـفت تنشـئة الفرد من خلال عيشه ضمن جماعات اجتماعية مختلفة[5]. وذلك بوصـفها عمليـة تلقين الفرد قيم ومقاييس ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه، بحيث يصبح متدربا على إشغال مجموعة أدوار تحدد نمط سلوكه اليومي[6]. وعموما فإن لعلم الاجتماع ثلاثة رؤى لمراحل للتنشئة الاجتماعية.

---

[1] حامد، عبد الناصر سليم، معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية، دار أسامة، عمان، 2012، ص163.

[2] روشيه، غي، مدخل إلى علم الاجتماع العام، تعريب مصطفى دندشلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983، ص167.

[3] عمر، معن خليل، التنشئة الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص18.

[4] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، 1981، ص126.

[5] عمر، معن خليل، التنشئة الاجتماعية، المصدر السابق، ص26.

[6] ميشيل، دنكن، المصدر السابق، ص328.

الرؤية الأولى:

تتمحور حول مرحلة الطفولة childhood، وتبدأ من ولادة الفرد وتنتهي في سن الثانية عشرة، ويتصف المنشأ بأنه كائن بيولوجي يعتمد في إشباع حاجاته البيولوجية على الوالدين[1]. ومرحلة المراهقة adolescence stage، وتبدأ من الثالثة عشرة وتنتهي في السابعة عشر منه استمرارا لمعرفة تنشئة الناشئة إبان القرون الوسطى في أوروبا[2].

الرؤية الثانية:

وتتضمن تنشئة الطفولة، وتبدأ من ميلاد الطفل لغاية السادسة من العمر، وفيها يتعلم، ضبط النفس (الذهاب إلى الحمام)، وضبط الرغبات والعواطف (الاستجابة لطلبات الوالدين- طاعة أوامر والديه- التنازل عن حاجة أو طلب مستحب عنده- تحوير بعض الأفعال وجعلها مقبولة اجتماعيا)، وكذلك يتعلم الطفل أولى الأدوار الاجتماعية، فضلا عن بلورة صورة الذات (انتماء طبقي- مهنة)[3].

الرؤية الثالثة:

بعد مرحلة الطفولة يخضع المنشأ إلى إعادة التنشئة الاجتماعية resocialization (تغيرا كاملا في مفهوم دور معين). تتطلبها ظروف حادة ذات صفة متميزة. مثال السجناء (غسيل الدماغ brainwashing) لإعادة بناء العقيدة السياسية، وكذلك التنشئة العسكرية والتنشئة العقائدية[4]. وللمحلل النفساني دور في إعادة التنشئة لبعض مرضاه عند معالجتهم من أمراضهم النفسية وإزالة عقدهم النفسية، لأنه يريد تبديل صورة المريض الذاتية عن نفسه بأخرى جديدة تختلف جملة وتفصيلا عن القديمة (المريضة)[5].

---

(1) عمر، معن خليل، التنشئة الاجتماعية، المصدر السابق، ص27.

(2) المصدر نفسه، ص 28-29.

(3) المصدر نفسه، ص33-36.

(4) المصدر نفسه، ص36-37.

(5) Popenoe. David, (ed). sociology. prentice-hall Ice, newjery,1974, p.129-144.

غالبا ما يتم الخلط بـين التنشـئة الاجتماعيـة socialization والتطبيـع conformization والإخضاع soumission والتثاقف acculturation، وعليـه لرفع اللبس عن تداخل مفهوم التنشئة الاجتماعية مع المفاهيم المشـار إليهـا، مـن خلال تدقيق تعريف التنشئة الاجتماعية حسب المقاربات[1] السوسيولوجية والنفسية والثقافية.

1- **السوسيولوجية:** في هذا المجال يؤكد عالم الاجتماع (ماكس فيبر) بأن النمـو السياسي والاجتماعي والاقتصادي مرتبطة بالتنشـئة الاجتماعيـة أي بـالقيم والتمثلات المستنبطة من طرف الفرد.

2- **النفسية:** هنا تعني التنشئة تعلم الحياة الاجتماعية، أي وسيلة إكسـاب الفـرد المعايير والمعارف ونماذج السلوك والقيم التي تجعل منه فاعلا فـي مجتمـع محدد، كما تعمل على إدماج النظام الاجتماعي من طرف الفرد وجعله كجـزء من شخصيته والتعبير عن هويته.

3- **الثقافية:** تؤكد على أن بنية الشخصية تخضع للثقافة التي تميز مجتمعا بأكمله، والثقافة تعني بصفة خاصة نسق- منظومة قيم المجتمـع. ويـرى كـاردينر kardiner أن كل نسـق سوسـيو- ثقـافي تقابلـه شخصـية قاعديـة مـا personality base وعموما، بالنسبة للثقافيين، فإن التنشئة الاجتماعية هـي العملية التي بواسطتها ينقل كل مجتمع قيمه للأجيال اللاحقة، ويفترضـون أن القيم وباقي عناصر النسق الثقافي تستدمج من طرف الفرد، وتشكل نوعا مـن البرمجة التي تضبط بطريقة ميكانيكية سلوكه[2]. وتكـن مـن خـلال عـدة مؤسسات ونظم تتوزع على المراحل العمرية للإنسان في حياته.

---

[1] حامد، عبد الناصر سليم، المصدر السابق، ص164-165.

[2] Haddiya, el moustafa.(ed). socialization et identite. impr. najah eljadida, 1988, p.31.

ثالثا: آليات التنشئة الاجتماعية:

تقوم التنشئة الاجتماعية على عدة آليات وطرائق منها، التقليد والملاحظة والتوحد (وهو تقليد لا شعوري للنموذج المقلد) والضبط، فضلا عن الثواب والعقاب[1]. وتقوم على التفاعل الاجتماعي، والتقليد أو المحاكاة من اجل التوحد identification والاستدخال introjections والاقتداء modeling، "أي الرغبة في تملك أشياء حسنة في الحياة، وهذا يوضح لنا حقيقة الطفل يكون أكثر قدرة على التوحد بهؤلاء الراشدين الذين يرى أنهم يمتلكون أشياء حسنة في الحياة"، ثم أن التوحد ينظر إليه على انه يمثل (قوة التحكم) في الميل إلى الأشياء الحسنة، فضلا عن قيام التوحد على الحاجة إلى (تحييد التعديد) من جانب شخص قوي كالأب"[2]. وكذلك التعلم الاجتماعي، وفيها يؤكد (روتر) إن التعلم الاجتماعي يحقق حاجات أساسية في التنشئة الأسرية للفرد وهي.. تأكيد المكانة الاجتماعية، الحماية، السيطرة، الاستقلال، الحب، العطف والراحة البدنية[3]. فضلا عن ممارسة الأدوار الاجتماعية في الحياة الاجتماعية اليومية، بدءا من الأسرة مرورا بالمدرسة إلى الزقاق في المحلة مع جماعة الأقران. أما التنشئة الاجتماعية في الأسرة المسلمة فترتكز على الأوامر والنواهي، وتقديم القدوة الطيبة، ونموذج السلوك المرغوب للسلوك الاجتماعي، والثواب والعقاب، فضلا عن الإيحاء[4].

إن التنشئة الاجتماعية عموما سيرورة ومتغيرة على امتداد الحياة، بحيث أنها تهدف إلى الاندماج الاجتماعي من لدن الفرد، وبوصفها من جهة أخرى بمثابة وسيلة لإكساب الشخصية من خلالها استيعاب طرائق الحركة والفعل اللازمة

---

[1] حامد، عبد الناصر سليم، المصدر السابق، ص166-167.

[2] الناصر، عبد الرحمن، التنشئة الاجتماعية لأبناء الشهداء والأسرى، جامعة الكويت، 1988، ص50-52.

[3] الخطيب، جمال محمد وآخرون، أصول التربية الإسلامية، دار الخرجي، الرياض، 1995، ص225.

[4] عمر، معن خليل، التنشئة الاجتماعية، المصدر السابق، ص210.

(معايير وقيم وتمثلات اجتماعية) من اجل تحقيق درجة من التوافق النسبي عبر سياق الحياة الشخصية والاجتماعية للفرد داخل الحياة المتغيرة باستمرار[1]. وهذه تختلف من مجتمع إلى آخر، بحسب النظام الاجتماعي والنمط الثقافي لذلك الشعب أو المجتمع، فضلا عن العوامل المؤثرة فيها نوعاً وكماً.

رابعا: أنماط التنشئة الاجتماعية

إن التنشئة الاجتماعية لا تأخذ شكلا واحد أو تكون ذات طبيعة ستاتيكية، بل تتنوع بألوان من الطرائق والأساليب لتحقيق الهدف المنشود وهو تنشئة الأجيال اللاحقة المراد تقديمها إلى المجتمع بشخصيات قيادية وإدارية وأكاديمية، وغيرها. ومن أنماط التنشئة..

النمط السلطوي authoritative style، وحددها (بومريند) "وفيها بوجه عام يتمتع الأبناء بالاعتماد على النفس وبالثقة بالذات ويتمتعون باستكشاف بيئتهم"[2]. أما النمط التسلطي authoritarian style، فتكون قائمة على فرض الأوامر ووجوب الطاعة العمياء من دون نقاش أو إبداء رأي، كالرفض أو الاعتراض على النواهي والمطالب المعطاة من المربين. وهذا سلبا في خلق شعورا بالإحباط والمظلومية من تسلط المربي على المنشأ. في حين أن النمط المتساهل permissive style، يغلب عليه المرونة المفرطة وعدم الحزم مما قد يؤدي إلى الانفلات وعدم الانصياع إلى التوجيهات من قبل المربي. مما قد يؤدي إلى تنافس الأخوة والأخوات sibling rivalry لجذب انتباه الوالدين وكسب حبهم وثقتهم، وقد يكون هذا التنافس على حساب الأخوة الآخرين في بعض الأحيان مما يؤدي إلى وقوع مشكلات فيما بينهم[3].

---

[1] المصطفى حدية، التنشئة الاجتماعية بالوسط الحضري بالمغرب، ترجمة محمد بن الشيخ، مطبعة rabat maroc nef، المغرب، 2006، ص124.

[2] الخطيب، جمال محمد وآخرون، المصدر السابق، ص32.

[3] رشوان، عبد المنصف حسن علي، ممارسة الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والطفولة (اتجاهات نظرية وحالات وبحوث تطبيقية)، مصر، 2008، ص82.

وعموما فان أنماط التنشئة طيلة حياة الإنسان هي (تحويلية، ربطية، ضبطية)، مشتركة في صياغة النسق العام لتنشئة الفرد في مجتمعه ويمكن عدها أركانا ثلاثة ترتكز عليها التنشئة طيلة حياة المنشأ[1]. وتتصف بأنها عملية نمو، وعملية دينامية، فضلا عن أنها عملية تعلم اجتماعي بحسب رأي (نيوكومب Newcomb 1959)، إنه "مصطلح يمكن أن يكون مرادفا للتعلم الاجتماعي"[2]. وهناك مجموعة من العوامل تؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية، ومنها، الثقافة، الأسرة، جماعة الأقران، وسائل الإعلام، المدرسة[3].

ومن الأساليب[4] التربوية والنفسية والاجتماعية المساعدة على التنشئة الاجتماعية الايجابية للمتعلم:

1. سيادة جو الطمأنينة والشعور بالنجاح داخل المدرسة.
2. التوجيه والإرشاد والعطف المصحوب بالحزم.
3. تعليم الأطفال الحياة الاجتماعية داخل المدرسة.
4. توفير الإمكانيات والوسائل التربوية والمادية والتجهيزية للمدرسة (ملاعب، مكتبات، أندية، وسائل إيضاح).
5. إشباع كل حاجيات المتعلم النفسية والاجتماعية والمعرفية.

إن أهمية التنشئة الاجتماعية تتجلى في دورها الكبير والمؤثر في نمط شخصية الفرد وما تؤديه وظائف تختلف وتتنوع بحسب الفئة العمرية، ونوع المؤسسة التي تقوم بإكساب القيم والعادات والسلوك الفردي أو الجماعي في الحياة الاجتماعية اليومية، والتي تساعده على التكيف والتفاعل الاجتماعي الايجابي من خلال تكوين شبكة من العلاقات الاجتماعية مع الجماعات الاجتماعية. وهي أول

---

[1] عمر، معن خليل، التنشئة الاجتماعية، المصدر السابق، ص18.

[2] حامد، عبد الناصر سليم، المصدر السابق، ص168.

[4] المصدر نفسه، ص168.

[4] المصدر نفسه، ص169.

بيئة تتولى هذا الإعداد فهي تستقبل المولود وتحيط به الأسرة وتروضه علـى آداب السلوك الاجتماعي[1]. ومن خلالها يتعلم الإنسان التأقلم مع المعـايير الاجتماعيـة، وفيها تجعل إمكانية دوافع استمرار المجتمع ونقل ثقافته من جيل إلى آخر[2].

خامسا: وظائف التنشئة الاجتماعية

يمكن أن يكون للتنشئة الاجتماعية، وكنتيجة طبيعيـة، نـوع مـن التكيـف الاجتماعي يتضح سواء كان ذلك في الرغبة في تغيير الوسط أو التجديـد أو فـي الامتثال لهذا الوسط والملائمة معه[3]. وتهدف التنشئة إلى إكسـاب الأفـراد فـي مختلف مراحل نموهم (طفولة، مراهقة، رشد، شيخوخة) أساليب سـلوكية معينـة، تتفق مع معايير الجماعة وقيم المجتمع، حتى يتحقق لهؤلاء التفاعل والتوافـق فـي الحياة الاجتماعية في المجتمع الذي يعيشون به[4]. ومن أهم الوظائف[5]:

1. تأنيس الأعضاء الجدد الذين يأتون إلى المجتمع عن طريق الولادة.
2. تكييف الفرد الموجود أصلا حسب نظم المجتمع القائمة.
3. ربط الفرد بجماعة معينة أو المجتمع العـام مـن خـلال ممارسـته لـلأدوار الاجتماعية.

وبالإضافة إلى ذلك يمكن أن تكون التنشئة وسيلة ضبط اجتماعي إذا حصـل وتكونت الضوابط الاجتماعية في دخيلته النفسية فان انحراف المنشأ يكـون نـادرا وإذا وقع فيكون شاذا، أما إذا لم يتشرب المنشأ بالضوابط الاجتماعية ويستوعبها من أبويه أو معلميه فان احتمال انحرافه يكون عالية ومتوقعا ومن هنا أضحت التنشـئة

---

[1] مذكور، إبراهيم، المصدر السابق، ص184.

[2] عمر، معن خليل، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق، الأردن، 2006، ص388.

[3] روشيه، غي، المصدر السابق، ص205.

[4] حامد، عبد الناصر سليم، المصدر السابق، ص164.

[5] عمر، معن خليل، التنشئة الاجتماعية، المصدر السابق، ص46.

القاعدة الأساسية للضبط الاجتماعي[1]. والتنشئة بكونها السيرورة التي يكتسب الشخص الإنساني عن طريقها ويستبطن طوال حياته العناصر الاجتماعية- الثقافية السائدة في محيطه ويدخلها في بناء شخصيته، وذلك بتأثير من التجارب والعوامل الاجتماعية ذات الدلالة والمعنى، ومن هنا يستطيع أن يتكيف مع البيئة الاجتماعية حيث ينبغي عليه أن يعيش[2].

سادسا: جماعات التنشئة الاجتماعية socialization groups

إن الجماعات والنظم التي تمارس وظيفة تنشئة اجتماعية يمكنها أيضا أن تتميز فيما بينها بحسب ما تكون فئات عمر متباينة (الأعضاء الذين ينتمون إلى هذه الجماعات أو إلى هذه النظم الاجتماعية لهم أعمار مختلفة) أو فئات عمرية متجانسة[3]. وان جماعات تعمل على نقل المعرفة والقيم والعادات والقوانين المجتمعية وإكساب أعضاء الجماعة المهارات الاجتماعية التي تفيدهم في حياتهم اليومية، ويتلخص هدفهم في تنمية المهارات الاجتماعية والعمل على زيادة ثقتهم بأنفسهم والتخطيط لمستقبلهم[4]. في حين يقوم المجتمع من خلال عملية التنشئة الاجتماعية في تشجيع وتقوية بعض الأنماط السلوكية المرغوب فيها والتي تتوافق مع قيم المجتمع وحضارته..في حين يقاوم ويحبط أنماط أخرى من السلوك غير المرغوب فيها[5]. والتنشئة تؤثر في أن تصبح عناصر المجتمع والثقافة جزءا متمما متمما في بناء الشخصية النفسية، لدرجة أن هذه العناصر تصبح مواد أو جزء في مضمون البنيان[6]. وتنقسم جماعات التنشئة إلى..جماعات تعليم المهارات

---

[1] Lind, smith. Alfred and stranss, Anselm.(ed). "the social self" Obnen, Schrage martin reading in General sociology" Houghton, 1957, p.55.

[2] روشيه، غي، المصدر السابق ، ص164.

[3] المصدر نفسه، ص184-185.

[4] حامد، عبد الناصر سليم، المصدر السابق، ص179.

[5] خليل ميخائيل عوض، علم النفس الاجتماعي، دار النشر العربية، بيروت، 1984، ص101-103.

[6] روشيه، غي، المصدر السابق، ص166.

الاجتماعية social skills groups والجماعات المنظمة أو المحكومة governance groups وجماعات الترويح[1]. وقد تسبق التنشئة الاجتماعية شروط لأدائها ومنها وجود، أفراد، وثقافة اجتماعية، ومجتمع بشري، فضلا عن تفاعل اجتماعي بين الأفراد[2].

سابعا: أوساط التنشئة

إن التنشئة تقوم في أوساط عديدة أهمها، أوساط الانتماء، وتنقسم إلى الوسط الريفي والوسط المديني، وكذلك الجماعة العرقية والقومية والثقافية، فضلا عن الطبقة الاجتماعية. وأوساط المصدر، ولها وظيفة مزدوجة في التنشئة الاجتماعية، إذ أنها تقدم المعايير والقيم والرموز التي تسترشد بها عناصر التنشئة الاجتماعية، إذ انه في سبيل التكيف بهذه الأوساط والى حد ما في سبيل الفعل والتأثير كذلك في هذه الأوساط، تستمر سيرورة التنشئة الاجتماعية وتتتابع، ومن جهة ثانية عن طريق مختلف الأوساط التي ينتمي إليها الفرد أو يتخذها المرجع له، ومن خلال هذه الأوساط يكون الفرد هويته ويطورها، بمعنى انه يتكون التعريف الذي يمكن للفرد أن يعطيه هو نفسه لذاته ويعطيه للآخرين عن ذاته، كشخص فردي واجتماعي في آن معا[3].

ثامنا: مراحل التنشئة الاجتماعية

تباينت آراء العلماء حول تحديد معيار مراحل التنشئة الأسرية إلا أنهم جميعهم يلتقون في هدف واحد هم تنشئة الطفل داخل الأسرة ومن قبل الأبوين ليغذي المعرفة الاجتماعية فيهم، وتحويل الكائن البيولوجي إلى إنسان اجتماعي، ثم نقل عناصر الثقافة المجتمعية إليهم، وربطهم بالمجتمع، فضلا عن تعليمهم مهارات وقدرات تؤهلهم للقيام بأعمال يعيش فيها.

---

[1] حامد، عبد الناصر سليم، المصدر السابق، ص180.

[2] عمر، معن خليل، التنشئة الاجتماعية، المصدر السابق، ص53.

[3] روشيه، غي، المصدر السابق، ص192-198.

ومن هذه المعايير[1]..القبول الاجتماعي، الصراع، سنوات عمر الطفل، بنية الأسرة، البواعث.

أما القبول الاجتماعي فيقسم إلى ما قبل القبول وما بعده. في حين أن الصراع يمتد لمراحل.. منها كيف يتكيف لحاجاته البيولوجية ويتقبل المعاني الاجتماعية للمواقف التي حددها الكبار. وكذلك سوء معاملة الوالدين لعدم وعيهم بأساليب التنشئة، وان الطفل في هذه المرحلة لا يكون قد تعلم بعد استخدام اللغة بصورة تمكنه من التعبير عن نفسه مما يزيد من حدة الصراع[2]. ويزداد صراع الطفل في هذه المرحلة بسبب امتلاكه آليات كثيرة أكثر من المرحلة السابقة، مثل اللغة ورموزها التي بواسطتها تستجيب الأشياء (عن طريق اللغة تتكون عنده عملية التفكير، وعن طريق اللغة والتفكير يستطيع اكتساب اتجاهات وقيم وعادات وتقاليد مجتمعه، كل ذلك يدفعه للدخول في صراع أو صراعات مع والديه يتعلم من خلالها أساليب تنشئته[3]. وبالنسبة لسنوات عمر الطفل فطرحه العالم الفرنسي (بياجيه) في الربع الأخير من القرن العشرين عندما فصل المراحل التي يمر بها الطفل (حديث الولادة) قبل أن يدرك ذاته، وهي ستة[4] مراحل..

1. مرحلة المص sucking، أي إدراكه وشعوره بثدي أمه وحلمتها.
2. مرحلة العادات، أي تعود الطفل على سلوكية معينة.
3. في الشهر الثالث ولغاية الشهر السادس من عمر الوليد، وهنا تكون الرؤية لا تتعدى حدود المسك واللمس (ربط الأحداث كالسمع واللمس والشم).
4. في الشهرين التاسع والعاشر، وتتضمنها البحث عن الأشياء التي يراها.
5. في الشهر الثاني عشر ولغاية الثامن عشر، وفيها يتعلم مواقع الأشياء.

---

(1) عمر، معن خليل، التنشئة الاجتماعية، المصدر السابق، ص133-134.

(2) محمد، يوسف عبد الفتاح، الزواج من أجنبيات وأثره على أبناء الخليج، دار ومكتب الهلال، 1998، بيروت، ص50-51.

(3) Johsom harry.(ed). 'sociology' rouhedged kegan paul ltd. 1961, p.113.

(4) Ibid. p.13.

6. في الشهر الخامس عشر ولغاية التاسع عشر، وفيها التحكم بالأشـياء، ويكـون قادرا على إدراك الأشياء من دخيلته لأنها تأخذ حيزا في إدراكه internalized objects لدرجة تستطيع ربطها إلى حد ما بالأشياء الخارجيـة مثلمـا يـدركها الصبي.

أما **بنية الأسرة** فإن المنشّأ يمر بمراحل تنشئة داخل الأسرة، ومنها تعبر عن الدفء الأسري، ثم يعتمد الطفل على المجتمع وبالذات على الأسرة بكل أعضـائها ومجتمعه المحلي، وفي الستة الرابعة يكتسب عضويته من أسرته ويتبوأ عدد مـن الأدوار، ثم يصل لمرحلة المراهقة (وهي التي تكون مستقلة وغير معتمدة على الأم أو الأب وعندها يبرز التميز بين القدرة في القيام بعمـل معـين وطريقـة اتخـاذ القرار)[1]. وأخيرا **البواعث** التي تشير إلى محركات لسلوك الفـرد التـي تدفعـه بالوصول إلى أهداف الواردة، وتكون مكتسبة على الرغم من الارتبـاط بـالتكوين البيولوجي، وهنا تقوم بتقويم السلوك اليومي للفرد وتعرض له ما هو سلبي وايجابي وما هو خطأ وما هو صائب[2].

---

[1] Ibid. p.133.

[2] Turner, jonathan.(ed). "sociology", goodyear, pan, co.inc calf. 1981, p.138.

المبحث الثالث

الضبط الاجتماعي

يكاد لا يخلو مجتمع إنساني من قواعد ونظم تحدد وتنظم سلوك أفراده في الحياة الاجتماعية اليومية في جميع مفاصلها المتنوعة والمختلفة. وتتوزع هذه القاعد في عمومها على جانبين أساسيين هما، الجانب الرسمي/ القانوني، والجانب الغير رسمي/ العرف الاجتماعي. ويعد الفيلسوف والعلامة العربي (ابن خلدون) أول رائد للضبط الاجتماعي، حين أكد على أهميته في مقدمته "إن العمران البشري لابد له من سياسة ينتظم بها أمره"[1].

أولا: ماهية الضبط الاجتماعي..

عرف العالم (جارلس كولي) الضبط الاجتماعي، بأنه "عملية ضبط المجتمع نفسه بنفسه، وان المجتمع هو المسئول عن كافة العمليات المتعلقة بالتنظيم والإبداع"[2]. وأكد (كولي) أيضا أن في جوهره ضبط ذاتي من جانب المجتمع، فالمجتمع هو الضابط وهو المنضبط في الوقت ذاته، حيث أن له قدرة مستمرة ودائمة على الخلق الذاتي للضوابط[3]. إذن هو جهد مقصود يمارسه المجتمع على ذاته من خلال مؤسساته ونظمه وأفراده داخل النظام الاجتماعي. وان هذا النظام كما يؤكد العالمان (بروم وسلزنيك) يتوقف على وجود قواعد معيارية وتنظيم اجتماعي يمكن أن ينظر إليه على انه ينتج الضبط[4]. ويعد العالم (أوكست كونت) أول من وجه الأنظار إلى أهمية الدراسة الاجتماعية للنظام، وأشار إلى الدور الذي

---

(1) الرشدان، عبد الله، علم اجتماع التربية، دار الشروق، الأردن، 2004، ص189.

(2) سليم، سلوى علي، الإسلام والضبط الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة، 1985، ص19.

(3) جابر، سامية محمد، القانون والضوابط الاجتماعية، مدخل إلى علم الاجتماع لفهم التوازن الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص41.

(4) ماكيفر وبيج، المجتمع، ترجمة علي احمد عيسى، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص273-274.

يمكن أن تقوم به العقيدة والأخلاق والمعرفة في تدعيم هذا النظام[1]. في حين أن العالم (دوركايم وتلامذته) أكدوا على التمثلات الجمعية والضمير الجمعي والعقل الجمعي، والقيم والمثل في علاقتها بالنماذج الاجتماعية المختلفة التي يمكن أن ترتبط بطريقة أو أخرى بموضوع الضبط الاجتماعي بمفهومه الحديث[2].

ثانيا: أهداف الضبط الاجتماعي..

للضبط الاجتماعي عدد من الأهداف المتنوعة والمختلفة ضمن البناء الاجتماعي للمجتمع وتنظيمه. ومن هذه الأهداف، التدخل في النظم الاجتماعية الذي يرتكز على القانون الاجتماعي، وكذلك فهو هدفا ووسيلة في الوقت ذاته، لتحقيق الموائمة بين المصالح الفردية والمصالح الاجتماعية، ويهدف أيضا إلى تحديد السلوكيات المقبولة وغير المقبولة وغير المقبولة وفقا لقيم وعادات المجتمع، فضلا عن تنشيط الأجهزة والمنظمات الثقافية والمؤسسات الإنتاجية[3].

ثالثا: مضامين الضبط الاجتماعي وأساليبه ووسائله..

يتضمن الضبط الاجتماعي مضامين عدة، منها السيطرة الاجتماعية التي تؤكد على سلوك الفرد من الجماعة أو المجتمع وسيطرة الجماعة أو المجتمع على الأفراد، وكذلك السيطرة الايجابية والسلبية التي تعكس طرائق وأساليب ووسائل مباشرة وأخرى غير مباشرة. منها الامتثال للمعايير، وطرائق وأساليب ضد الخارجين عن القيم كالعقوبة، فضلا عن السيطرة الرسمية وغير الرسمية والسيطرة المباشرة وغير المباشرة[4]. وأكد العالم **(روس)** بان هناك أساليب عديدة للضبط الاجتماعي، حددها بالرأي العام والقانون والعقيدة والإيحاء الاجتماعي والتربية والعادة الجمعية والدين والمثل العليا والشعائر والطقوس والفن والشخصية

---

[1] جابر، سامية محمد، علم الاجتماع العام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص190.

[2] القريشي، غني ناصر، الضبط الاجتماعي، دار صفا، الأردن، 2010، ص27.

[3] الرشدان، عبدالله، علم اجتماع التربية، المصدر السابق، ص195-196.

[4] المصدر نفسه، ص197-198.

والخرافات والتنوير والتثقيف وقيم النخبة والطليعة فضلا عن القيم الاجتماعية[1]. في حين أن (تالكوت بارسونز) رأى بأن من أساليب الضبط الاجتماعي، التنشئة الاجتماعية والعزل الاجتماعي أو المقاطعة الاجتماعية، وضغط الجماعة، والسجون، والمؤسسات والمنظمات[2]. وهذه الأساليب تظهر حين يسود المجتمع حالة عدم مسايرة المعايير والقواعد القانونية للمرحلة التي تسود المجتمع عند ضعفه أو عجزه في تنفيذ ضوابطه وعدم عدالته، ليؤدي إلى استخدام القهر والإلزام بشكل صارم[3]. وان هذه الأساليب بمجملها تعبر عن الأدوات المستخدمة في الحفاظ على استقرار وديمومة ورقي وتقدم النظام الاجتماعي[4].

رابعا: أنواع الآليات الضبطية.. ويمكن تقديمها عموما في المحاور الآتية..

- **الآليات الضبطية العرفية:**

التنشئة الاجتماعية، وتشمل اكتساب الثقافة وتكامل الثقافة في الشخصية والتكيف مع البيئة الاجتماعية. وكذلك الجماعة المرجعية reference group، وهي جماعات عضوية ينتمي إليها الأفراد، وأيضا جماعات آلية ينتمي إليها الأفراد تلقائيا، فضلا عن جماعات متوقعة مستقبلية. بالإضافة إلى الممارسات الطقسية في المناسبات والأماكن الدينية. والحسد أو إصابة العين jealousy. فضلا عن الأمثال والأقوال المأثورة.

- **الأساليب الضبطية الرسمية:** (التنظيمات العقابية – الإلزام القسري – أجهزة التصوير والتسجيل).
- **الأساليب الضبطية العملياتية:** (دافعية المركز أو الدور الاجتماعي – الضبط الداخلي والخارجي (الشعوري واللا شعوري) – الثواب والعقاب.

[1] E.A.Ross; social control; the mac millan company; new york; 1906; p. 421.

[2] القريشي، غني ناصر، المصدر السابق، ص51.

[3] عمر، معن خليل، البناء الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1999، ص129-130.

[4] الحسن، إحسان محمد وعدنان سليمان الأحمد، المدخل إلى علم الاجتماع، دار وائل، الأردن، ص291.

مصادر الفصل الثاني

(1) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، 1981.

(2) بدوي، احمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت: مكتبة لبنان، 1982.

(3) بيجوفيتش، علي عزة، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة محمد يوسف عدس، مجلة النور، مؤسسة بافاريا، المانيا والكويت، 1993.

(4) جابر، سامية محمد، علم الاجتماع العام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004.

(5) جابر، سامية محمد، القانون والضوابط الاجتماعية، مدخل إلى علم الاجتماع لفهم التوازن الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.

(6) حامد، عبد الناصر سليم، معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2012.

(7) حبيب، كمال السعيد، "الإستراتيجية الأمريكية الجديدة تجاه العالم العربي والإسلامي"، مجلة أخبار العرب، 2002.

(8) الحسن، إحسان محمد، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 1999.

(9) الحسن، إحسان محمد وعدنان سليمان الأحمد، المدخل إلى علم الاجتماع، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن.

(10) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2 ، بيروت، 2000.

(11) الخالدي، خليل محمد، خصائص المجتمع الموصلي، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، 2006.

(12) الخطيب، جمال محمد وآخرون، أصول التربية الإسلامية، دار الخرجي، الرياض، 1995، ص225.

(13) خليل ميخائيل عوض، علم النفس الاجتماعي، دار النشر العربية، بيروت، 1984.

(14) دنكن، ميشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980.

(15) الرشدان، عبدالله، علم اجتماع التربية، دار الشروق، الأردن، 2004.

(16) رشوان، عبد المنصف حسن علي، ممارسة الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والطفولة (اتجاهات نظرية وحالات وبحوث تطبيقية)، مصر، 2008.

(17) روشيه، غي، مدخل إلى علم الاجتماع العام، تعريب مصطفى دندشلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983.

(18) سار ليفيتان وريتشارد بلوز، ماذا يحصل للعائلة الأمريكية؟ جامعة جونز هوبكنز، ١٩٨١، ص153.

(19) سليم، سلوى علي، الإسلام والضبط الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة، 1985.

(20) سميث، براد فورد، الإنسان الأمريكي، ترجمة تماضر توفيق، دار البلاغ للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.

(21) الصوفي، احمد، خطط الموصل، ج2، مطبعة الاتحاد الحديثة، الموصل، 1953.

(22) علي احمد سعيد، ادونيس، صدمة الحداثة، دار العودة، بيروت.

(23) عمر، معن خليل، البناء الاجتماعي: أنساقه ونظمه، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1999.

(24) عمر، معن خليل، التنشئة الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2004.

(25) غوردن، ميشيل، العائلة الأمريكية، الماضي، الحاضر، والمستقبل. نيويورك، 1978.

(26) غوردن، ميشيل، العائلة الأمريكية من زاوية اجتماعية ــ تاريخية، نيويورك، 1983.

(27) فوكوياما، فرانسس، التصدع العظيم، ترجمة عزة حسين كبة، بيت الحكمة، بغداد، 2004.

(28) القريشي، غني ناصر، الضبط الاجتماعي، دار صفا، الأردن، 2010.

(29) كردي، علي، الغرب من الداخل، مجلة الأقلام، السنة الخامسة، 2007.

(30) ماكيفر وبيج، المجتمع، ترجمة علي احمد عيسى، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، د.ت.

(31) محمد، يوسف عبد الفتاح، الزواج من أجنبيات وأثره على أبناء الخليج، دار ومكتب الهلال، 1998، بيروت.

(32) المصطفى حدية، التنشئة الاجتماعية بالوسط الحضري بالمغرب، ترجمة محمد بن الشـيخ، مطبعـة rabat maroc nef، المغرب، 2006.

(33) الناصر، عبد الرحمن فهد، التنشئة الاجتماعية لأبناء الشهداء والأسرى، جامعة الكويت، 1988.

(34) نيكسون، ريتشارد، ما وراء السلام، ترجمة مالك عباس، الأهلية للنشر، الأردن، 1995.

(35) وينبرك، مارتن وكولن وليايمز، الرجال المنحرفون جنسيا، مشاكلهم وطرق تقبلهم، جامعة اكسفورد، 1984، ص231.

(36) يوربيرك، بتي، دور الغريزة الجنسية في التغير الاجتماعي، نيويورك، وايلي، 1974.

(37) David balm kenkorn, fatherless america cbasic books, newyork, 1995.

(38) E.A.Ross; social control; the mac millan company; new york; 1906.

(39) Haddiya, el moustafa.(ed). socialization et identite. impr. najah eljadida, 1988.

(40) Ian marray, amarriage rate slumps as more alien-single–life.(ed). in the times, april,29,1993.

(41) Johsom harry.(ed). 'sociology' rouhedged kegan paul ltd. 1961.

(42) Lesely wite. the times, July, 1996.

(43) Lind, smith. Alfred and stranss, Anselm.(ed). "the social self" Obnen, Schrage martin reading in General sociology" Houghton, 1957.

(44) Popenoe. David, (ed). sociology. prentice-hall lce, newjery,1974.

(45) Toffler. future shock.(ed). new york: batmam books aluien-1971.

(46) Turner, jonathan.(ed). "sociology", goodyear, pan, co.inc calf. 1981.

الفصل الثالث

وسائل الاتصال المعاصرة

- المبحث الأول: ماهية وسائل الاتصال

(المفهوم - النشأة والتطور — الأنواع - محتويات وسائل الاتصال - الأهداف والغايات)

- المبحث الثاني: وسائل الاتصال.. ذراع العولمة

(الإنترنت..الفضائيات..الهاتف النقال - الثقافة ووسائل الاتصال)

- مصادر الفصل الثالث

3

الفصل الثالث

وسائل الاتصال المعاصرة

توطئة..

بما أن الإنسان كائن اجتماعي بالطبع، أي يميل إلى الاجتماع مع غيره من الجماعات البشرية والعيش معهم لإشباع حاجاته المتعددة والمختلفة والمتنوعة، من خلال الاتصال بهم والتواصل معهم، عبر ما هو مادي/ تقني، ومنها ما هو معنوي/ بيولوجي واجتماعي. وبالتالي خلق نمط معين من طريقة وأسلوب للعيش في الحياة اليومية والتي انتهت عموما بمفهوم الثقافة. وهو المخترع الذي فتح قنوات الاتصال بين معظم المجتمعات ومنها التي كانت في عزلة اجتماعية وثقافية، الأمر الذي جعل منها تبقى في حالة من الجمود وضعف التغير والتطور. لتبقى خارج التاريخ متسمة بثقافة شفاهية تتوارثها الأجيال في حدود ضيقة مؤطرة بمفهوم المكان الذي تتواجد فيه. إذن هناك علاقة بين الثقافة ووسائل الاتصال نتجت من تأثير عدة عوامل، وهو ما جعل هذه العلاقة تفرز تداعيات وانعكاسات على المجتمع ونمط ثقافته العامة وثقافاته الفرعية Sub-culture، زمنيا ومكانيا.

المبحث الأول

ماهية وسائل الاتصال

أولا: مفهوم الاتصال Communication ..

الاتصال كلمة مشتقة في لفظها الإنكليزي من الأصل اللاتيني Communes، أي Common ومعناها مشترك، فعندما نقوم بعملية الاتصال فنحن نحاول أن نقيم "رسالة مشتركة" Commonness مع شخص أو جماعة أخرى، أي أننا نحاول أن "نشترك سويا في معلومات أو أفكار أو مواقف حادة"[1]. والاتصال في علم الاجتماع يعني "تبادل الأحوال الذاتية ونشرها بين الأفراد مثل الأفكار والعواطف والمعتقدات عن طريق اللغة التي تعد أداة الاتصال الرئيسة، فضلا عن وسائل أخرى للاتصال مثل: المحاكاة والإيحاء[2]. إذن هو صيغة من صيغ التفاعل الاجتماعي، كأحد الظواهر الاجتماعية في حياة الناس القائمة أساسا على التأثير في المواقف والقيم والاتجاهات والمعايير وأنماط السلوك وأنماط التفكير، وبناء تصور اجتماعي عن الحياة الاجتماعية[3]. ويقيم (إدوارد سابير) فصلا واضحا بين مفهومي الاتصال والاتصالات، فالأول هو العملية الاتصالية بحد ذاتها، أما الثاني فيعني الوسائل التكنولوجية المستخدمة لتنفيذ هذه العملية، ويسميها كذلك بالوسائل الثانوية، كالأدوات والنظم التي تساعد على القيام بالاتصال[4]. في حين تعني الدائرة الاتصالية، بث رسائل واقعية أو خيالية موحدة على أعداد كبيرة من الناس يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

---

[1] بدر، احمد، الاتصال بالجماهير، وكالة المطبوعات، الكويت، 1982، ص55.

[2] مدكور، إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص8.

[3] ينظر الدليمي، احمد جاعد، علم اجتماع الإعلام، دار الشروق، الأردن، 2002، ص49.

[4] شرف، عبد العزيز، الأجناس الإعلامية وتطور الأجناس الاتصالية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003، ص19.

والسياسية[1]. كما ان مفهوم وسيلة الاتصال تعني تجهيز تقني يتيح للناس تبادل ما يعبرون عنه من أفكار أيّا كان شكل هذا التعبير وأنّى كان قصده[22].

ولكي يتم فهم مصطلح الاتصال بعيدا عن أي لبس أو خلط مع مصطلحات ومفاهيم أخرى، لابد من النظر اليه وفقا للحقل المتداول فيه مع التأكيد على ان هناك عناصر أساسية لتحقيق فعل (الاتصال) ثم (التواصل)، ومنها الإرادة الإنسانية التي تؤثر ان هناك رغبة في الاتصال مع الآخر، ومباشرته بشكل فردي، وكذلك مبدأ المشاركة في الاتصال، وهذا يوجب استدعاء (الآخر) سواء أكان شخصا معنويا اعتباريا، لتحقيق عملية ابلاغية إعلامية بين طرفي الاتصال، فضلا عن توفر الوسيلة أو القناة التي تستعمل لتحقيق عملية الاتصال بالطريقة المثلى[33]. إذن الاتصال هو تبادل العناصر الثقافية المادية واللاّ مادية بين الأفراد والجماعات والمؤسسات من خلال قنوات عدة، منها بشرية وأخرى تقنية.

ثانيا: نشأة الاتصال وتطوره..

كان الاتصال في المجتمعات البشرية الأولى يلبي حاجة دينية عند الإنسان، ولكن ظهرت حاجة جديدة حين بدأت تتكون الأنظمة السياسية وتمد نفوذها إلى أقاليم واسعة[44]. ووجد علماء الآثار في العراق نشرات ترجع إلى سنة (1800ق.م) ترشد إلى كيفية بذر محاصيلهم وريها وعلاجها من الآفات، وتشبه هذه النشرات إلى حد كبير النشرات التي توجهها وزارات الزراعة إلى المزارعين في الدول المتقدمة[5]. أما في اليونان لم يقتصر الإعلام أو الاتصال على نشر

---

[1] عليوة، السيد، أستراتيجية الاعلام العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990، ص82.

[2] بال، فرنسيس، مدخل إلى وسائل الإعلام، ترجمة عادل بوراوي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلم، تونس، 1996، ص7.

[3] نهر، هادي، واحمد الخطيب، إدارة الاتصال والتواصل، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2009، ص25.

[4] القوزي، محمد علي، نشأة وسائل الاتصال وتطورها، دار النهضة العربية، بيروت، 2007، ص15.

[5] عبد الحليم، محي الدين، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، دار الرفاعي، الرياض، 1984، ص12.

المراسيم وإذاعتها، بل تعداه إلى الأخبار العسكرية والرياضية والمسرحية[1]. وعند الرومان قامت الدولة بنشر الأحداث العامة، ثم الغتها ونشرت بدلا منها الأحــداث اليومية، وقام (يوليوس قيصر) في روما باستغلال الوقائع اليومية التي صدرت سنة 59 ق.م. وسجل نشاط مجلس الشيوخ وعرض أعمال أعضــائه وأقــوالهم علــى الجمهور[2]. وفي صدر العصر الروماني كان يتمحور حــول رســالة المبشــرين المسيحيين الأوائل[3]. وكان للشعوب الكلتية – التي كانت تسكن فرنسا – وللشعوب الجرمانية نظام للاتصال اكثر تطورا، ومثال ذلك خبــر مقتــل القائــد الرومــاني (فاروس) وإبادة جيشه في سنة 9 بعد الميلاد، في مقاطعة (وســتفاليا) بجرمانيــا، وصل إلى منطقة (الاوفرني) بفرنسا بعد وقوع المعركة باثنتي عشرة ساعة، وذلك عن طريق صرخات متقطعة كانت تنتقل من مركز إلى آخر، أمــا العــرب فقــد استخدموا الخطب ودق الطبول وإشعال النار والندوات والمــآذن والــدعاة، كمــا استخدموا المنادين افضل استخدام، وفي العصر الوسيط في أوروبا لعبت التجــارة دورا كبيرا في الإعلام[4].

ان الاتصال اخذ أشكالا ووسائل ارتبطت بتطور المجتمع البشري ثقافة وفكرا وإبداعا، على الرغم من الوصول إلى نماذج متعددة وجديدة لوسائل الاتصال إلا أن الوسائل القديمة مازالت فاعلة ومؤثرة. ويرى (جون ديوي) أن وجــود المجتمــع واستمراريته متوقف على النقل الشامل للعادات والأفكار والمشاعر من جيــل إلــى آخر، من خلال نقل الخبرات والاتصال بين الأفراد، فالناس يعيشون بفضــل مــا يشتركون فيه من أهداف وأمانٍ ومعلومات، وهــم يكتســبون ذلــك مــن خــلال

---

[1] القوزي، محمد علي، المصدر السابق، ص16.

[2] المصدر نفسه، ص17.

[3] عبد الحليم، محي الدين، المصدر السابق، ص13.

[4] القوزي، محمد علي، المصدر السابق، ص18-19.

الاتصال[1]. الذي تكمن أهميته في مجالات الإعلام بنقله للمعلومات، والتعليم في تدريب الأفراد، والترفيه في التسلية، والإقناع من خلال تحولات في آراء الأفراد، فهم الظواهر المحيطة وتعلم مهارات وخبرات، والراحة والتسلية والمتعة والحصول على معلومات جديدة تساعد الفرد في اتخاذ القرار بشكل مقبول اجتماعيا[2]. وقد يرجع الفضل للاتصال فيما حققته الإنسانية من تقدم على مدى تقدم الحقب التاريخية، ودوره الفعال في التنمية وبناء المجتمع وتكوينه، وفتحه المجال للاحتكاك والتفاعل بين البشر، وإيصال البرامج التعليمية إلى المناطق النائية، ونقل التراث الثقافي للمجتمع والأمة[3]. وتكوين التراث الاجتماعي للشعوب والمجتمعات، الذي يضم الصناعات الموروثة والبضائع والسلع والعمليات التكنولوجية والأفكار والعادات والقيم[4].

إذن الاتصال يمكن أن يعد أداة التغيير المجتمعي ووسيلة لضبط مساره لأنه يتولى مهام الإعلام والتربية والتعليم والتثقيف والتنشئة الاجتماعية، وان مجمل هذه المهام تشكل جوهر الثقافة التي ترتكز عليها بنية المجتمع[5]. وعموما سارت الحضارات وتطورت بدءا من الحضارة السمعية إلى الكتابية إلى الطباعية، ثم حضارات التلغراف والهاتف والسينما والإذاعة والتلفاز، إلى حضارة الآلية الأتمية Auto mation التي نعيشها اليوم.

---

[1] سلامة، عبد الحافظ محمد، الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار اليازوري العلمية، الأردن، 2002، ص17.

[2] عليان، زكي مصطفى، ومحمد عبد الريس، وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1999، ص32.

[3] الوردي، زكي، وعامر إبراهيم، الاتصالات، مطابع التعليم العالي، جامعة البصرة، 1990، ص51-54.

[4] Malinowski, B., "Culture:, Encyclopedia of social sciences. Vol. 4, p.21.

[5] السبعاوي، جمعة جاسم، التطور التقني للاتصال وتأثيره الثقافي/الفضائيات أنموذجا، أطروحة دكتوراه، (غير منشورة)، جامعة بغداد، 2008، ص41.

ثالثا: أنواع وسائل الاتصال..

اختلف الاتصال وتنوع بين الجماعات الإنسانية بحسب الأهداف والحاجات ونمط التواصل والأطراف المتصلة. ومن أنواعه، حديث النفس، وهو الاتصال داخل عقل الفرد، ويتضمن أفكاره وتجاربه ومدركاته، أي أن المرسل والمتلقي شخصا واحدا[1]. ويكون خلال إحساسه بمثيرات معينة تحفزه إلى التخيل أو التصور أو التذكر أو التفكير[2]. والاتصال الشخصي Personal Communication، ويتم بين فردين أو أكثر ويعتمد على المواجهة والاحتكاك أو الانتقال عن طريق التفاعل، وقد عرفه (ميرتون Merton) بأنه اتصال يقصد به التبادل وجها لوجها بين القائم بالاتصال والمستقبِل، بهدف التأثير على سلوك الأخير واتجاهاته ويظهر رجع الصدى Feed back في هذا المستوى من الاتصال أكثر من غيره من المستويات الاتصالية الأخرى، كما أن المرسل قد يصبح مستقبلا[3]. والاتصال المجتمعي Societal communication ، ويتم بين مجموعة محددة ومألوفة لدى القائم بالاتصال، مثل المحاضرات والبرامج الإذاعية التعليمية أو التلفاز التربوي[4]. والاتصال التنظيمي Organization communication، ويغلب عليه أسلوب الاتصال الشخصي ثنائيا، كالحوار والمحادثة بين الزملاء في العمل أو مع المدير، أو كان الاتصال جماعيا من خلال اللقاءات، وأما الوسائل التي تستخدمها المؤسسات والمنظمات فهي، الاتصال المواجهي، الهواتف والبرقيات والتلكس والفاكس والإنترنت والبريد الإلكتروني[5]. والاتصال الجماهيري Mass communication، ويعني مشاركة عدد كبير من الأفراد في موقف اتصال، وهو موجه لجمهور كبير نسبيا من الأشخاص الذين يتميزون بعدم التجانس. وان العملية

---

[1] سلامة، عبد الحافظ محمد، المصدر السابق، ص32.

[2] الهيتي، هادي نعمان، الاتصال والتغير الثقافي، مطبعة دار الحكمة، بغداد، 1978، ص9.

[3] عارف، مجيد حميد، انثروبولوجيا الاتصال، مطبعة دار الحكمة، بغداد، 1990، ص18.

[4] سلامة، عبد الحافظ محمد، المصدر السابق، ص34.

[5] عليان، زكي مصطفى، ومحمد عبد الريس، المصدر السابق، ص88.

الاتصالية لها خصائص يمكن النظر اليها من زاويتين، الأولى تشمل مكونات الاتصال وهي (المرسل – المستقبل – الرسالة والقناة – التغذية الراجعة)، وكل مكون منها له شروطه وسماته وعوامل نجاحه أو فشله. أما الثانية فهي التفريق بين أنواع الاتصال الذي ينقسم على أنواع باعتبارات متعددة ومنها، الاتصال الشفوي والمكتوب والشكلي والإلكتروني والمركب والذاتي والفردي والمتفاعل والأفقي والمتعامد والمباشر وغير المباشر[1].

رابعا: محتويات وسائل الاتصال..

مرت الثقافة في الفترات القريبة بالعديد من المتغيرات المتسارعة التي تحمل في طياتها ايديولوجية التنميط والاختراق الثقافي، والتي تتجلى في صياغة ثقافة عالمية مُتَمْذَجة لهل قيم ومعايير وسلوك وعادات وسيطرة ثقافية على الثقافات بوساطة استثمار مكتسبات العلوم والتقدم التكنولوجي في مجال ثورة الاتصالات وثورة المعلومات، الأمر الذي قد يؤدي إلى نشوء قيم ثقافية وأنماط سلوكية ليس هناك من روابط يربطها بنظامها الاجتماعي، وهو ما يؤدي بالتالي إلى حدوث تشويش للهوية الثقافية[2]. وبينما تتفجر في العالم ثورة المعلومات، تبلغ وسائل الاتصال قمة التأثير، بفضل الثورة التكنولوجية، فتؤثر تأثيرا بليغا، ليس فقط في السياسات المرحلية، لكنها أصبحت بفضل إمكانياتها الفائقة على النقل والبث والطبع والإبلاغ السريع والعميق، قادرة على التأثير في صنع الثقافة وتطورها، وتحقيق التداخل بين الثقافات المختلفة، عبر المحيطات والقارات والسماوات المفتوحة والمملوءة بالأقمار الصناعية العلمية والإعلامية والتعليمية والتسجيلية والعسكرية والتجسسية[3]. فعندما يتعرض التوازن الثقافي في ثقافة ما، إلى الخلل فان الثقافة

---

[1] نهر، هادي، واحمد الخطيب، المصدر السابق، ص51.

[2] سليم، جيهان، عولمة الثقافة واستراتيجيات التعامل معها في ظل العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003، ص232.

[3] العبد الله، مي، التلفزيون وقضايا الاتصال في عالم متغير، دار النهضة العربية، 2006، ص85.

تعاني التفكك والانهيار[1]. وبما أن هناك تجاذب بين الثقافة كعالم معنوي – مادي معايش، ووسائل الاتصال كعلم رمزي، يرافق ذلك تفاعل الفرد مع محتويات وسائل الاتصال من خلال رمزية اللغة أو الصورة أو الفيديو، إذن هناك جاذبية بين الفرد ووسائل الاتصال، فالفرد ينتقل (أو يلجأ) من عالمه الثقافي الحقيقي إلى العالم الرمزي الذي تعرضه وسائل الاتصال تلقائيا[2]. وإذا ما علمنا أن محتويات وسائل الاتصال ليست الواقع في حد ذاته بل تشكل تعبيرا عن الواقع، وهنا يحدث التأثير السلبي عندما يتم المزج بين العاملين، فيصبح الرمزي هو الواقع عند المتلقي، وان التفاعل مع الكم الهائل من المعلومات قد يتحول إلى نوع من الإدمان المكلف وغير الضروري، لان تبني أدوات تكنولوجيا المعلومات لا يمكن أن ينفصل عن تبني الأخلاقيات والقيم الثقافية المصاحبة لها. فالثورة التكنولوجية والأقمار الصناعية قد أحدثت انقلابا ثوريا في تطور البث التلفازي، اذ كان له النصيب الأوفر من هذه الثورة بوصفه اهم واخطر وسيلة للاتصال الجماهيري في عصرنا الحالي[3].

إن العالم اليوم يشهد العديد من العمليات الثقافية بين الثقافات المتباينة والمتنوعة بحسب قوتها وضعفها في فرض عملية المثاقفة وتوجيهها نحو الاتجاه المطلوب، وتتم في الأغلب هذه العمليات من خلال توظيف وسائل الاتصال المختلفة لصالح الثقافة المهيمنة. ويقول الكاتب الأمريكي (هربرت شيلر Herbert schiller) في كتابه (الاتصال والهيمنة الثقافية)، "إن مفهوم الإمبريالية الثقافية هي جماع العمليات التي تستخدم لإدخال مجتمع ما إلى النظام العالمي الحديث ولاستحالة الطبقة المهيمنة فيه والضغط عليها وإجبارها كي تشكل المؤسسات

---

[1] وطفة، علي، الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ع192، بيروت، 1995، ص61.

[2] عزي، عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال، سلسلة كتب المستقبل العربي (28)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003، ص23.

[3] ديفز، ديزموند، قواعد الإخراج التلفزيوني، ترجمة حسين حامد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص3.

الاجتماعية في انساق مع قيم المركز والمهيمن في النظام والترويج لها"[1]. ليكــون الفصل بين الثقافة ووسائل الاتصال يعد فصلا واهما، إذ ينخرط في جملة القيم التي تنتجها الثقافة، أي أنها قضية تكاملية[2]. وهذا قد يجعل وسائل الاتصال بأن تــدعم الهوية الثقافية للمجتمع، من خلال إقامة علاقة إيجابية بــين الأفــراد، ومــن ثــم بالاحتكاك والتفاعل مع المجتمعات الأخرى بثقافاتهــا المتعــددة، وإدراك الجانــب الإيجابي والسلبي من سماتها، للاستفادة منها من جهة، وتعزيز الحصانة الاجتماعية والثقافية من جهة ثانية. حتى أصبحت وسائل الاتصال المرئية قوة هائلــة تهــيمن على حياة الإنسان في ظل السيطرة الدولية عبر التكتلات العــابرة للقــارات التــي أصبحت اكثر استجابة لنداء العولمة من أي نشاط آخر، كما كان لها الأثر البالغ في اطلاق رياح التغيير، فأسهمت في تغيير الواقــع الجيوسياســي، وقلبــت مفــاهيم الديمقراطيات الشعبية والحريات والمجتمعات المدنية[3]. فضلا عن مجمل الحيثيات التي ترى في العولمة أيديولوجيا للسيطرة على العالم[4]. وقد لا يختلف في جوهره وأهدافه عن الاستعمار العسكري الغربي للشعوب في السابق لكن بثوب جديد ووجه حسن تحت مسميات برّاقة وبغطاء العولمة الثقافية التي تخفي خلفها استعمارا ثقافيا جديدا.

خامسا: أهداف الاتصال وغاياته

ان الاتصال عموما يحمل غايات وأهداف يمكن ان تتمحور في ثلاث معانٍ، أولها البحث عن الآخر والاقتسام، وظهر سنة 1160 من القرن 12، والذي جــاء

---

(1) التويجري، عبدالعزيز، الثقافة العربية والثقافات الأخرى، المعارف الجديــدة، المغرب، 1998، ص27-28.

(2) السبعاوي، جمعة، المصدر السابق، ص51.

(3) أبو اصبع، صالح، تكنولوجيا الاتصال الجماهيري وآفاق الحرية والإبداع، منشورات جامعة فيلادلفيا، الأردن، 2002، ص524.

(4) الجابري، محمد عابد، العولمة والهوية الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص137.

من اللاتينية بمعنى الاشتراك والتقاسم الذي نتج عنه ولم يتغير[1]. أما الثاني فيرتبط بسياق الثقافة الإسلامية الذي يشير إلى التعارف والتعاون، كقوله تعالى (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا. ان أكرمكم عند الله اتقاكم) (الحجرات:13). وكذلك قولـه عز وجل (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (المائـدة:2). فضلا عن الثالث الذي يعني البث والإرسال والتفاعل، وجاء في القـرن السـادس عشر وهو مرتبط بالتقنيات. ولابد من فهم هذه المعاني لفهم التفاعل الحاصل فـي تحليل اتجاهات ما يسمى بعولمة الثقافة ومستقبل الهويات الثقافية في ظل تكنولوجيا الاتصال، حتى نفهم معوقات وصول الاتصال لتحقيق غايته الإنسانية الهادفة إلـى التعارف والتفاعل والتبادل، وإيجاد التجمعات البشرية لأشياء مشتركة حتى نعـيش سويا[2]. ان العلاقة بين المجتمعات الإنسانية والأطراف العالمية تحصل في ثـلاث منظومات أساسية، الأولى..المنظومة المالية، وتتجلى في سوق واحدة لرأس المـال وبورصة عالمية واحدة، والثانية..المنظومة الإعلامية والاتصـالية، وتظهـر مـن خلال قدرة معظم سكان الشعوب على الارتباط والاتصال مع الثقافـات الإنسـانية المحيطة والبعيدة، فضلا عن الثالثة..والتي تمثل المنظمـة المعلوماتيـة وتجسـدها الشبكة المعلوماتية "الانترنت"، وهي شبكة واحدة يشارك فيها الأفراد بصرف النظر عن الحدود السياسية والخصوصيات الثقافية[3]. فالإنجازات التقنية لا تكفي للتقريب بين الناس، ولكن تعيد بشكل خاص مختلف وجهات النظر اكثر مرئية، كما تعيد ما يفرقها اكثر مرئية كذلك[4]. وعندما ترتقي وسائل الإعلام يكون من بين وظائفهـا، إدارة الرأي والشورى حول القضايا العامة، والمسعدة على إنجاح وتنمية المشاريع

---

(1) Dominique wolton, penser La communication Editions Flammarion, france, 1997, p36.

(2) بو جمعة، رضوان، ابستيمولوجيا علوم الاتصال، أزمة فهم بنية الاتصال في المجتمع الجزائري، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 18، 2010، ص47.

(3) غليون، برهان وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكـر المعاصـر، بيـروت، 1999، ص16.

(4) Dominique wolton, Ibid, p20.

العامة، وحين تبلغ شأوا يكون اهم وظائفها تحقيق الشرعية، وتربية الأمة وترسيخ قيمها ومثلها، فضلا عن دفع ألوان الغزو الفكري عنها[1]. وذلك لان السلوك الاتصالي يهدف إلى تحقيق استجابة من فرد أو مجموعة ما نحو مثير معين، بمعنى انه يؤكد على ضرورة حدوث الاستجابة من المتلقي فيشعرها المصدر يتواصل المتلقي مع المرسل، فيما يسمى يرجع الصدى أو التغذية الراجعة[2].

عموما يمكن ان نجمل الأهداف العامة للاتصال في النواحي، منها نقل الآراء والأفكار والمعلومات، وتحقيق فهم مشترك بين الأطراف المشتركة في العملية الاتصالية، والخروج من العوالم المغلقة، إعطاء معلومات محددة وأفكار معينة للمستقبل وإقناعه بضرورة الالتزام والعمل بها، وتبادل الأفكار، وتأكيد مبدأ الحوار وقبول الآخر، وتطوير المعرفة والعلوم والفلسفة، ومخاطبة الصم والبكم، وتوسيع دوائر تقنيات التعليم والوسائل التعليمية الحديثة وإشاعتها بين أوسع الأوساط طلبة وعاملين، فضلا عن ان المعلومات والبيانات المتبادلة في الاتصال الإداري هي مظهر من مظاهر الاتصال بين الإداري ومن يقودهم[3].

---

[1] جريشه، علي، نحو إعلام إسلامي، مكتبة وهبه، القاهرة، 1989، ص36.

[2] مؤنس، كاظم، خطاب الصورة الاتصالية وهذيان العولمة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008، ص6.

[3] نهر، هادي، واحمد الخطيب، المصدر السابق، ص42-45.

المبحث الثاني

وسائل الاتصال..ذراع العولمة..

أولا: الإنترنت..الفضائيات..الهاتف النقال

استخدم أول قمر صناعي للاتصالات الفضائية عام 1960، حيث أطلقت أمريكا البالون (EchoI) وقد بلغ قطره 100 قدم دار حول الأرض 271 دورة، وتأسست الشبكة العربية للاتصالات الفضائية ARABSAT عام 1977، وأطلق أول قمر عربي للاتصالات الفضائية ARABSAT في 1985/2/15 إلى ارتفاع 36 ألف قدم[1]. وهذه التقنيات تعد ابرز اذرع العولمة الثقافية التي تستهدف تنميط الثقافات غير الغربية وإحلال الثقافة الغربية بدلها. بقيمها ومعاييرها التي قد لا تتوافق والنظم الاجتماعية للثقافات غير الغربية. فالقيم Values، تشير في الغالب إلى مجموعة من الرغبات والميول والأوليات والواجبات والالتزامات الخلقية والأمنيات والمتطلبات والاحتياجات، وأشكال من الاهتمامات الأخرى، أي انه توجد ضمن عالم واسع ومتنوع من السلوك الانتقائي[2]. كما تشير القيم إلى التراث الثقافي في المجتمع وتعكس أشكاله[3]. في حين أن المعايير Norms , تعد مبادئ محددة وقواعد من المتوقع أن يلاحظها الناس، إذ تمثل ما يجب أن يفعلوه وما يجب أن لا يفعلوه في الحياة الاجتماعية[4].

إن من أهم التقنيات المؤثرة في ثقافة الإنسان، التلفاز والهاتف والحاسوب وشبكة الانترنت. فأصبح التلفاز اليوم هو المؤسسة الثقافية الأكثر فعالية في الغرب

---

(1) القوزي، محمد علي، المصدر السابق، ص271-272.

(2) Robin William, the concept of value in : International Encyclopedia of social science Ed. By David sills. N.y. the Macmillan co. And the free press. 1977. p. 283.

(3) Firth Raymond. Essayson. Social Organization and value. university of London athlone press London.1964. p. 210

(4) Richard. P. Appelbaum Introduction to sociology, w.w. Norton & company. Inc. New York. London. 2003, p. p.55.

من دون منازع، وأمام سطوته الضارية تراجعت نسبيا معاهد البحث والجامعات ودور النشر والصحف، وكل تلك الترسانة الثقافية التقليدية، إن فعالية هذا النظام الجديد لإنتاج الرموز والقيم وتوزيعها يكمن في المادة التي يشتغل بها، وهي الصورة، بمادتها المكتنزة بالخطابات والرسائل والدلالات، إنها شكل يتقدم للمستهلك في قالب جمالي يستوفي الشروط التي تجعله على درجة كبيرة من الجاذبية والإغراء[1]. ويؤكد (هربرت شيلر Herbert Shiler) "بأن أهدافا سياسية واقتصادية ترتبط بعملية توسيع نطاق البث التلفازي الأمريكي، ويفسر ذلك على انه محاولة للوصول إلى الجماهير في الدول الأخرى[2]. وان علاقة الثقافة بالتلفاز علاقة وثيقة يتبادل فيها الطرفان التأثر والتأثير، علاقة تثير دائما الجدل والاختلاف، علاقة حيوية تتطور عناصرها باستمرار[3].

أما الهاتف، فبعد ان نجح (الكسندر جراهام بل) في 10 مارس 1876م بإرسال الكلام البشري عبر زوج من الأسلاك، تطورت شبكة الاتصالات الهاتفية البالغة التعقيد[4]. واستخدم الهاتف كوسيلة اتصال بالهواتف الأخرى المنتشرة جغرافيا بطريقتين أساسيتين، الأولى الاتصال المباشر، والثانية الاتصال الغير مباشر، عن طريق ربط الهاتف مع وسيلة أخرى من وسائل الاتصال ونقل المعلومات مثل التلكس والحواسيب وغيرها[5].

---

(1) بلقزيز، عبد الله، النظام الإعلامي السمعي- البصري الغربي والاختراق الثقافي في إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص230.

(2) هادي، محمد عبده، إشكالية الثقافة- الإعلامية المرئية الوافدة (عبر القنوات والفضائيات)، مجلة التواصل، دار جامعة عون، اليمن، ع15، 2006.

(3) طبالة، عفاف، حول الدور الثقافي للتلفزيون، مجلة الإذاعات العربية، تونس، ع87، 1995، ص156.

(4) باطس، دي، وجون د، التلفون، الاختراع والحاضر والمستقبل، ترجمة محمد فكري أنور، مكتبة الوعي العربي، 1977، ص5.

(5) عليان، زكي مصطفى، ومحمد عبد الريس، المصدر السابق، ص109.

في حين ان الحاسوب ادخل اكتشافه والشبكات المعلوماتية (الانترنت) إلى بروز الثقافة التفاعلية، وهو التجاذب وان كان يمس شكل الثقافة وليس محتواها بالضرورة، فانه يبرز مدى التفاعل الجدلي بين الثقافة ووسائل الاتصال، ويتضح أن وسائل الاتصال أساس الثقافة (المعاصرة)، فالثقافة تستوعب وسائل الاتصال[1]. ونتج من ذلك شبكة الانترنت التي تمثل مجموعة كبيرة من أجهزة الكمبيوتر في مختلف أنحاء العالم تتحدث مع بعضها البعض، بمعنى أن هناك ملايين من أجهزة الكمبيوتر تتبادل المعلومات فيما بينها عبر ما يعرف بالنسيج العالمي متعدد النطاق World Wide Web (www)[2]. وفي عام 1995 بدأ تواجد خدمات شبكة الانترنت في الدول العربية وعلى نطاق تجاري، سواء كان شخصيا أم مؤسساتيا[3]. إن الانترنت يحقق للإنسان نوعا من الحوارية المتأصلة في طبيعتها الاجتماعية. ويزخر عصرنا الحاضر بأدوات متعددة للاتصال بلغت ذروة الرقي والتطور، من البث الفضائي الذي يغطي كل أرجاء المعمورة، وشبكة الانترنت التي أصبحت متاحة أمام الجميع بإمكانياتها غير المتناهية[4]. وقد لا تقف أمامها مقاومة نفسية أو اجتماعية أو ثقافية، بل تضعف أحيانا وتجبر رافضيها على التكيف مع برامجها ومسايرة تياراتها بهدف التقليل من تداعياتها وآثارها وانعكاساتها على مستوى الفرد (الشخصية) والجماعة والمؤسسة.

ثانيا: الثقافة ووسائل الاتصال..

إن الثقافة التي تمتلك وسائل اتصال قوية يمكنها أن تهيمن من خلال الفضائيات على الثقافات الأخرى، فتعمل على خلق قيم وسلوك تروج لها وتصدرها

---

[1] عزي، عبد الرحمن، الثقافة وحتمية الاتصال، نظرة قيمية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع295، 2003، ص15.

[2] الفرا، عبد الله عمر، المصدر السابق، ص373.

[3] المصدر نفسه، ص277.

[4] عبد الحافظ، عبد الرشيد، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005، ص91.

على أنها الأنموذج الأمثل في الحياة الاجتماعية اليومية، والتي قد تتقاطع مع منظومة القيم لتفرز تداعيات ومشكلات اجتماعية داخل وخارج الأسرة. وتروج الفضائيات لمسائل عدة، منها ثقافة الاستهلاك والغربة الثقافية Cultural estrangement التي قد تؤدي إلى المقارنة بين الثقافات لتفرز التناشر المعرفي Cognitive Dissonance، وبالتالي ستحدث عملية صراع بين الأفكار التي يتعرض لها الفرد وبين معتقداته عن الواقع الذي يعيش فيه[1]. كما تساهم وسائل الاتصال الحديثة في تعزيز العلاقات الاجتماعية وتحقيق الانسجام والترابط الاجتماعي سواء أكانت بين الأسرة الواحدة أم بين الأصدقاء[2]. والتقنيات المختلفة قد أفرزت آثارا سلبية على مجال القراءة للإصدارات المكتوبة، حيث أصبح هناك عزوفا واضحا وتفضيلا ظاهرا للوسائل البصرية[3]. وقد تكون التقنيات وسيلة هدم وبناء للإنسان من خلال ترسيخ القيم أو هدمها في الوقت ذاته إذا ما أساء توظيفها، أي أن العلم لما يُوَظَّفْ له، ومثال ذلك كم من اليورانيوم يستخدم للطاقة وفي الوقت ذاته للقتل والإبادة والتدمير، اذن الأمر مرهون في استخدامه وتوظيفه من قبل الإنسان.

---

(1) حسن، محمود شمال، نحن والبث الفضائي، مجلة دراسات اجتماعية، بيت الحكمة، ع1، بغداد، 1999، ص95.

(2) عزي، عبد الرحمن، الثقافة وحتمية الاتصال، نظرة قيمية، المصدر السابق، ص26.

(3) الذيقاني، عبد احمد، الشباب العربي من منظور فكري وتربوي، بيت الحكمة، بغداد، 2001، ص54.

مصادر الفصل الثالث

* القرآن الكريم

(1) أبو اصبع، صالح، تكنولوجيا الاتصال الجماهيري وآفاق الحرية والإبداع، منشورات جامعة فيلادلفيا، الأردن، 2002.

(2) باطس، دي، وجون د، التلفون، الاختراع والحاضر والمستقبل، ترجمة محمد فكري أنور، مكتبة الوعي العربي، 1977.

(3) بال، فرنسيس، مدخل إلى وسائل الإعلام، ترجمة عادل بوراوي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلم، تونس، 1996.

(4) بدر، احمد، الاتصال بالجماهير، وكالة المطبوعات، الكويت، 1982.

(5) بلقزيز، عبد الله، النظام الإعلامي السمعي – البصري الغربي والاختراق الثقافي في إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

(6) بو جمعة، رضوان، ابستيمولوجيا علوم الاتصال، أزمة فهم بنية الاتصال في المجتمع الجزائري، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 18، 2010.

(7) التويجري، عبد العزيز عثمان، الثقافة العربية والثقافات الأخرى، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 1998.

(8) الجابري، محمد عابد، العولمة والهوية الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

(9) جريشه، علي، نحو إعلام إسلامي، مكتبة وهبه، القاهرة، 1989.

(10) حسن، محمود شمال، نحن والبث الفضائي، مجلة دراسات اجتماعية، بيت الحكمة، ع1، السنة الأولى، بغداد، 1999.

(11) الدليمي، احمد جاعد، علم اجتماع الإعلام، رؤية سوسيولوجية مستقبلية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.

(12) ديفز، ديزموند، قواعد الإخراج التلفزيوني، ترجمة حسين حامد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993.

(13) الذيقاني، عبد احمد، الشباب العربي من منظور فكري وتربوي، بيت الحكمة، بغداد، 2001، ص54.

(14) السبعاوي، جمعة جاسم، التطور التقني للاتصال وتأثيره الثقافي/الفضائيات أنموذجا، أطروحة دكتوراه، (غير منشورة)، جامعة بغداد، 2008.

(15) سلامة، عبد الحافظ محمد، الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار اليازوري العلمية، الأردن، 2002.

(16) سليم، جيهان، عولمة الثقافة واستراتيجيات التعامل معها في ظل العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.

(17) شرف، عبد العزيز، الأجناس الإعلامية وتطور الأجناس الاتصالية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003.

(18) طبالة، عفاف، حول الدور الثقافي للتلفزيون، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ع87، 1995.

(19) عارف، مجيد حميد، انثروبولوجيا الاتصال، مطبعة دار الحكمة، بغداد، 1990.

(20) عبد الحليم، محي الدين، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، دار الرفاعي، الرياض، 1984.

(21) عبد الحافظ، عبد الرشيد، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005.

(22) العبد الله، مي، التلفزيون وقضايا الاتصال في عالم متغير، دار النهضة العربية، 2006.

(23) عزي، عبد الرحمن، الثقافة وحتمية الاتصال، نظرة قيمية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع295، 2003.

(24) عزي، عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال، سلسلة كتب المستقبل العربي (28)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.
(25) عليان، زكي مصطفى، ومحمد عبد الريس، وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1999.
(26) عليوة، السيد، استراتيجية الإعلام العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990.
(27) غليون، برهان وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1999.
(28) الفرا، عبد الله عمر، تكنولوجيا التعليم والاتصال، ط4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطابع الأرز، الأردن، 1999.
(29) القوزي، محمد علي، نشأة وسائل الاتصال وتطورها، دار النهضة العربية، بيروت، 2007.
(30) مدكور، إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
(31) نهر، هادي، واحمد الخطيب، إدارة الاتصال والتواصل، عالم الكتب الحديث، اربد (الأردن)، 2009.
(32) هادي، محمد عبده، إشكالية الثقافة- الإعلامية المرئية الوافدة (عبر القنوات والفضائيات)، مجلة التواصل، دار جامعة عون للطباعة والنشر، اليمن، ع15، 2006.
(33) الهيتي، هادي نعمان، الاتصال والتغير الثقافي، مطبعة دار الحكمة، بغداد، 1978.
(34) الوردي، زكي حسين، وعامر إبراهيم، الاتصالات، مطابع التعليم العالي، جامعة البصرة، 1990.

(35) وطفة، علي، الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ع192، بيروت، 1995.

(36) Dominique wolton, penser La communication Editions Flammarion, France, 1997..

(37) Malinowski, B., "Culture:, Encyclopedia of social sciences. Vol.

(38) Robin William, the concept of value in : International Encyclopedia of social science Ed. By David sills. N.y. the Macmillan co. And the free press. 1977.

(39) Firth Raymond. Essayson. Social Organization and value. university of London athlone press London.1964.

(40) Richard. P. Appelbaum Introduction to sociology, w.w. Norton & company. Inc. New York. London. 2003.

الفصل الرابع

الثقافة العراقية

في ظل تحديات وسائل الاتصال الكونية

- المبحث الأول: الشخصية

(مفهومها - خصائصها الإنسانية - الشخصية والثقافة ووسائل الاتصال)

- المبحث الثاني: الثقافة

(القيم - التقاليد - العادات - العلاقات الاجتماعية - السلوك الاجتماعي - ثقافة الملبس ومورفولوجية الجسد - اللغة والخطاب)

- المبحث الثالث: عولمة الاتصال والتغيير الاجتماعي والثقافي:

(التقنيات/ طبق البث الفضائي - الهاتف النقال - الشبكة المعلوماتية)

- مصادر الفصل الرابع

4

الفصل الرابع

الثقافة العراقية

في ظل تحديات وسائل الاتصال الكونية

توطئة..

إن ما حصل في للثقافة العراقية من انتشار واحتكاك ثقافي مع الثقافات المحيطة به والبعيدة عنه عبر وسائل عديدة، ومنها الاتصال، سيما إبان دخول الاحتلال الأمريكي في عام 2003 إلى البلد والى يومنا هذا. وهو ما أدى الى خلق علاقة سببية بين الثقافة ووسائل الاتصال نتجت من تأثير عوامل عدة ، وهو ما جعل هذه العلاقة تفرز تداعيات وانعكاسات على المجتمع ونمط ثقافته العامة وثقافاته الفرعية Sub-cultures ، زمنيا ومكانيا.

يقول المهاتما غاندي "لا أريد أن يكون منزلي محاطا بالجدران من جميع الجوانب ونوافذي مسدودة، بل أريد أن تهب ثقافات جميع البلاد على منزلي بأقصى حرية ممكنة، ولكني ارفض أن تعصف بي أي ثقافة منها"[1]. ننطلق من هذه المقولة الرائعة التي تؤكد بأن رياح التغيير الاجتماعي والثقافي غير مقلقة، وان التلاقح مع الثقافات الإنسانية **مُرَحَّبٌ به**، بشرط أن لا يمس المنظومة القيمية التي يمكن أن تتأثر به معاييرها الأخلاقية والوجدانية والنفسية والاجتماعية والإعتقادية والدينية. وهذه الاتجاهات تعد أكثر صعوبة من حيث تغيرها وتغييرها. بل تتطلب وقتا طويلا وأحداث كبيرة قد يمثل حدوثها أشبه ما تكون بزلزال اجتماعي يهز بناء المجتمع ونظمه. فالعناصر المستعارة من ثقافات أخرى، أسهل في اعتناقها أو الأخذ بها أثناء الأزمات وفي أوقات التفكك الاجتماعي[2].

---

[1] تقرير التنمية البشرية، لعام 1999، برنامج الأمم المتحدة Undp، طبع في البحرين، 1999، ص4.

[2] غيث، محمد عاطف، علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984، ص283.

واعتقد أن واقع مجتمعنا العراقي في الظرف الراهن كفيل بجعل التثاقف أكثر يسر وسهولة، لان النظم الاجتماعية مَسَّها خلل كبير، لم تؤثر نسبيا في نمط الثقافة العامة للمجتمع فحسب، بل وفي الثقافات الفرعية كذلك، فضلاً عن ضعف أداء مؤسسات الدولة لوظيفتها بسبب ما خلفه الاحتلال من تدمير للبنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. لان الجزيئات الثقافية المادية أسرع في انتشارها من الأفكار والايديولوجيات[1]. وهذا ما حصل إبان الاحتلال الأمريكي للبلد عام 2003، ومازال مستمرا بعد جلائه عسكريا، حيث سبقت العناصر الثقافية المادية بدخولها العناصر الثقافية المعنوية إلى المجتمع. إن ما حدث في خارطة مجتمعنا العراقي الاجتماعية، أن عرضت عناصر ثقافية عديدة بفعل الانفتاح على الخارج بعد أن كان شبه مغلق على الثقافات الأخرى، وما حملته الثقافة الوافدة من أفكار، سيما التي جاءت عبر وسائل الاتصال، ورافق هذا قبول بعض فئات من المجتمع لمجموعة من هذه العناصر الثقافية، ومنها الفئة التي رحبت بالتغيير بكافة أشكاله وأساليبه.

ومازالت تجري محاولات دمج هذه العناصر الثقافية الوافدة في ثقافتنا التي تمثل حصيلة تراكم تاريخي لحضارة وادي الرافدين، والذي يمتد عمقه لآلاف السنين. فعندما تحتك ثقافتان مختلفتان يميل النمط الأبسط والأكثر ضرورية إلى أن يمر بسرعة اكبر[2]. وهذا ما لمسناه في واقع مجتمعنا عندما دخلت الأنماط البسيطة، منها المادية كالأجهزة الكهربائية والالكترونية وغيرها، فكانت أكثر تقبلاً ورغبة وذلك لحاجة المجتمع إليها بسبب افتقاده لكثير منها في المرحلة السابقة. وقد رأينا أنواع مختلفة من الأنماط الثقافية، سواء أكانت العناصر الأجنبية ناقلةً أم مُمَرِّرةً لها، فهي مستمرة وتتزايد كماً ونوعاً خلال ثقافة المجتمع.

---

(1) بيومي، محمد احمد، الانثروبولوجيا الثقافية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص117.

(2) الخشاب، احمد، دراسات انثروبولوجية، دار المعارف، مصر، 1971، ص117.

وبذلك فان العناصر المادية ممثلة بالتقنيات كالهاتف النقال والبث الفضائي والإنترنت، سبقت بدخولها الأفكار والعادات ومنها التحزب والاتجاهات الطائفية والفيدرالية والأقاليم، ومفاهيم حرية المرأة وحقوق الطفل، والكثير من الشعارات التي جعلها المحتل وأدواته غطاءً لمشاريعه. ويمكن أن يعتمد قبول العناصر الجديدة على مدى نفع هذه العناصر وقابليتها على الانسجام، أي مدى الانتفاع منها ومدى السهولة التي يمكن بها أن تنسجم مع النسق الثقافي القائم[1]. ويتضح ذلك في قبول شريحة من شرائح المجتمع لبعض العناصر المادية لافتقادها إليها في الحياة اليومية، مثل وسائل الاتصال الحديثة وغيرها. وفي الوقت ذاته تم رفض العناصر الأخرى التي ثبت عدم فائدتها، بسبب دورها في تفكيك النسيج الاجتماعي والثقافي ومنها المخدرات والأفكار التقسيمية والتفكيكية والانفصالية تحت مبررات عدة.

[1] لنتون، رالف، دراسة الإنسان، ترجمة عبد الملك الناشف، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت- نيويورك، 1964، ص450.

المبحث الأول

الشخصية

إن ثقافة المجتمع العراقي العامة وثقافاته الفرعية تتسم بسمات عدة، منها قوة العلاقات الاجتماعية social relationships ونمط التفاعل الاجتماعي social interaction المباشر في صوره من التعاون cooperative والمنافسة competition والتمثيل الاجتماعي social assimilation وسيادة التضامن والتماسك الاجتماعي ومتانة نسيجه الاجتماعي واندماجه الثقافي، على الرغم من تباين خارطته الاجتماعية. وذلك لان السمة السائدة هي وحدة الشعور بالمواطنة والتعايش الاجتماعي السلمي. فالأسرة العراقية تحمل سمات الأسرة العربية، شديدة التمسك بالتقاليد الموروثة (أسرة نمطية) عن الأجداد. كذلك فان تأثير العديد من العوامل، منها الجغرافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، رسمت عليها صورة من التنوع الثقافي. ويعد علماء الاجتماع أن المجتمع الأكثر تنوعا هو الأكثر تقدماً، فالتنوع مصدر ثقافي وحضاري واقتصادي واتصالي[1]. إن دخول وسائل الاتصال الحديثة إلى المجتمع حمل معه نسبة من القيم والعادات والتقاليد والأفكار والسلوكيات، وهذه ستترك أثراً في نظام القيم والسلوك لاحقاً، مهما اختلفت المدة الزمنية لذلك، لما تمثله من تحديات عديدة. وهناك شواهد في واقعنا الاجتماعي اليومي لتوافد قيم وسلوكيات تعد غريبة نوعا ما، على الرغم من التبريرات والأسباب المنطقية وغير المنطقية لذلك. وقد يبدأ التقبل الاجتماعي بفرد أو جماعة فرعية ثم تبدأ بالانتشار أو التوسع حتى تصبح جزء من ثقافة فرعية لمجتمع محلي أو جماعة فرعية[2]. ويمكن أن يعارض كبار السن وأصحاب

---

[1] معتوق، فريدريك ، المصدر السابق، ص116.

[2] بيومي، محمد احمد، المصدر السابق، ص119.

المصالح التقليدية الجديدة إذا هددت عاداتهم العقلية المستقرة. وقد يعود هذا إلى المسافة الزمنية والفكرية والمعرفية والاجتماعية بين الأجيال.

أ- مفهوم الشخصية Personality

يشير هذا المفهوم إلى الأنماط الثابتة بصورة معتدلة للمرء في مجال التصرف، التفكير، والشعور، ويبني الناس الشخصية من خلال استدخال – أو اخذ – ما يحيط بنا، ولكن بدون الخبرة الاجتماعية لا تظهر الشخصية على الإطلاق[1]. وتعرف بأنها "المجموعة المتكاملة من صفات الفرد العقلية والنفسية، أي المجموع الإجمالي لقدرات الفرد العقلية وإحساساته ومعتقداته وعاداته، واستجاباته العاطفية المشروطة"[2]. وكذلك أنها "تنظيم ثابت لدرجة ما، للقوى الداخلية للفرد، وترتبط تلك القوى بكل مركب من الاتجاهات والقيم والنماذج الثابتة بعض الشيء، والخاصة بالإدراك الحسي، والتي تفسر- إلى حد ما- ثبات السلوك الفردي[3]. والشخصية هي "استجابات الفرد المميزة للمثيرات الاجتماعية، وكيفية توفقه مع المظاهر الاجتماعية المحيطة به[4]. إذن الشخصية تمثل مجموعة العوامل البيولوجية/ الموروثة، والعوامل الاجتماعية/ المكتسبة عند الإنسان خلال مراحل حياته المختلفة.

إن مفهوم الشخصية يكون محصلة تفاعل الإنسان مع البيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية. فيولد الإنسان **كائن حي** وكتلة تجتمع فيها أجهزة بيولوجية، ثم يكتسب صفات اجتماعية فيصبح **كائن اجتماعي**، فتتفاعل العوامل الموروثة البيولوجية مع المكتسبة الاجتماعية ليصبح **شخص** عضو في المجتمع ويتجلى هذا

---

[1] عبد الحسين، لاهاي، مصطلحات ونصوص سوسيولوجية، جامعة بغداد، العراق، 2008، ص112.

[2] لينتون، رالف، دراسة الإنسان، ترجمة عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، 1964، ص607.

[3] Barnuow. V. cultural anthropology, Homewood, Illiois, lrwen, 1972. P.8.

[4] محمد غنيم، سيد، سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1997، ص44.

من خلال امتلاكه لشخصيته الاجتماعية والثقافية. ولذلك يؤيد بعض علماء الانثروبولوجيا تأثير العناصر السيكولوجية في محتوى الصيغة الثقافية التي تسود مجتمعا ما[1]. ولكل إنسان شخصيته التي تميزه عن الآخرين من حيث السمات والخصائص الجسدية والنفسية والفكرية والمعرفية والسلوكية. إلا أن هناك نقاط شبه في طرازها الإنساني العام، ومن مظاهرها[2].. انه يشبه الناس من حيث الإرث البيولوجي والبيئة التي يعيشون فيها، والمجتمعات والثقافات التي ينتمون إليها، فلكل فرد تكوينه العضوي/البيولوجي ذاته، بوصفه كائنا اجتماعيا. ومن ناحية أخرى انه يشبه بعض الناس في سمات شخصية الفرد مع سمات أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها، أو بعض الأفراد الذين ينشأ – أو يتعامل – معهم.

ب- خصائص الشخصية الإنسانية:

إن الشخصية الإنسانية تتسم بخصائص (النمو والتكامل- الهوية الشخصية (الذاتية)- الثبات والتغير)[3].. إن الشخصية تنمو وتتطور في وحدة متكاملة من خلال تآزر قدراتها وعملها باستمرار وتفاعل مع مواقف الحياة المختلفة، سيما تفاعل الإنسان مع بيئته وأنماط التنشئة الاجتماعية المتعددة التي يتعرض لها، وبالتالي استجابة الشخصية بكامل عناصرها في التعامل مع هذه المواقف. وتمثل الهوية الشخصية، اي شعور الفرد بأنه هو ذاته، رغم التغيرات الجسدية والنفسية عبر مراحله النمائية، ومن طبيعة الإنسان أن يتغير ويتبدل من يوم إلى آخر، بحكم قانون التطور، والذي يشمل جوانب الشخصية كافة، من بداية الحياة وحتى نهايتها، غير أن هويته الأساسية تبقى هي ذاتها على الرغم من التغيرات الجسدية أو الوجدانية، التي تحدث بفعل عاملي (العمر والثقافة). أما التغير والثبات فهي

---

[1] الغامري، محمد حسن، المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1989، ص42.

[2] المصري، علي، نظرية الشخصية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1990، ص61.

[3] ميلاد، محمود، علم نفس الاجتماع، وزارة التعليم العالي، دمشق، 1997، ص30.

مستمرة مع حياة الإنسان، وفي الوقت ذاته لها خاصية التغير والتطور التي تحدث بفعل المؤثرات المحيطة، والتي تتفاوت في شدة فاعليتها لإحداث التغيرات التطورية. إذن الشخصية تحمل السمات المختلفة لكن التي تؤدي إلى التكامل في بنائها ووظائفها، أي في جانبيها الثابت/ الستاتيك، والمتحرك/ الديناميك.

ج- الشخصية والثقافة ووسائل الاتصال:

عاش الإنسان منذ القِدم باحثاً عن الاستقرار والأمان، ينشد الراحة التي تعطيه الاتزان، فمنذ تلك الأزمان وهو يأمل الطمأنينة له ولأبنائه، ويسعى لتخفيف عبء الحياة عن كاهله. ولما ازدادت الحياة تعقيداً وتعددت مطالبها وتنوعت حاجاتها، ازدادت الضغوط الواقعة عليه لتلبية تلك المطالب. مما اضطره إلى مواكبة التسارع لتحقيق رغباته وإشباع حاجاته، هذا الإسراع زاده مرة أخرى من الضغط على النفس وتحميلها أكثر من طاقتها بغية اللحاق بموكب التحضر بكل ما يحمله من تداعيات. مما دفعه إلى اختراع الثقافة كأسلوب وطريقة للعيش والتكيف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية وتكييفها لصالحه بأنماطها المختلفة. فبنى وأنشأ الحضارات الإنسانية، وحرص على التبادل الثقافي من خلال التلاقح مع الثقافات والحضارات المحيطة والبعيدة بالاعتماد على وسائل الاتصال المختلفة. فالثقافة تحمل معها رياح التغير والتغيير بفعل عوامل عدة، والتغيير يحمل معه التبديل في السلوك، وقد ينتج عنه بعض الانعكاسات والتداعيات، وهي بالتالي نتاج وثمرة التغير الحضاري. وان هذا التغير اذا ما سبقه مرحلة زمنية تثقيفية وتوعوية قد يحمل في طياته آفات تستهدف النفس الإنسانية. وزيادة التطور يحمّل النفس أعباءً فوق طاقتها. مما يفرز الضغط على الإنسان، بيولوجيا وسيكولوجيا واجتماعيا وثقافيا، مما ينعكس على الحالة الصحية، الجسدية/ البدنية، والنفسية/ العقلية. فالإنسان المعاصر قد ينجح في استيعاب النمو المتسارع لمتطلبات الحضارة، لكنه قد يخسر بالنتيجة قدرته الجسدية والنفسية في عملية المقاومة في التحمل. مما يؤدي إلى استنزاف تلك الطاقة وتدميرها، ومن ثم تدمير الذات.

إن أساليب التعامل مع الواقع السيكولوجي والاجتماعي في المجتمع بنوعيها الشعورية واللاشعورية تهدف أساساً إلى إحداث التوازن ومحاولة التخفيف والتقليل من حدوث المشكلات الاجتماعية والاضطرابات النفسية، وهي استجابات يلجأ إليها الإنسان سعياً إلى الراحة والاستقرار، ومن تلك الأساليب الشعورية التصدي للمشكلة، وطلب الإسناد الاجتماعي، وضبط النفس، وتجنب الصدام..الخ. أما الأساليب اللاشعورية، فمنها التبرير، والنكوص (الارتداد)، والإسقاط، والكبت، والتكوين العكسي (الضدي)، والعزل..الخ. وان مجمل هذه الضغوط قد تدفعنا إلى تسمية عصرنا بعصر الضغوط النفسية والمشكلات الاجتماعية والصراعات الثقافية والحضارية. وان درجة استجابة الفرد للأحداث أو المتغيرات البيئية في حياته اليومية، ربما تكون مؤلمة تحدث بعض الآثار الفسيولوجية والسيكولوجية والسوسيولوجية. مع أن تلك التأثيرات تختلف من شخص إلى آخر تبعاً لتكوين شخصيته وخصائصه النفسية التي تميزه عن الآخرين، وهي فروق فردية بين الأفراد. فالضغوط النفسية تعبر عن تغير داخلي أو خارجي من شأنه أن يؤدي إلى استجابة انفعالية حادة ومستمرة[1]. وهي تشكل الأساس الرئيس الذي تبنى عليه بقية الضغوط الأخرى، والتي تتوزع على تفاصيل الحياة الاجتماعية اليومية.

ففي العمل يواجه الإرهاق والتعب والملل مما يؤدي إلى القلق النفسي وضعف التكيف في العمل والإنتاج وكميته ونوعيته مما يؤدي إلى تدهور صحة العامل الجسدية والنفسية. ومن أولى تلك الأعراض، هي زيادة الإصابات في العمل والحوادث، وربما تكون قاتلة فضلاً عن زيادة الغياب أو التأخر عن العمل، وربما يصل إلى الانقطاع عنه وتركه نهائياً. أما في الأسرة والدراسة والتعليم فتعد الضغوط الاجتماعية الحجر الأساس في التماسك الاجتماعي والتفاعل بين أفراد المجتمع. فمعايير المجتمع تحتم على الفرد الالتزام الكامل بها، والخروج عنها يعد خروجاً على العرف والتقاليد الاجتماعية. إن الضغوط الأسرية تشكل بعواملها

---

[1] إبراهيم، عبد الستار، الاكتئاب، اضطراب العصر الحديث، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص118.

التربوية ضغطاً شديداً على رب الأسرة في التنشئة الاجتماعية، فمعظم الأسر التي يحكمها سلوك تربوي متعلم ينتج عنه التزام وإلا اختل بناء الأسرة وتأثرت معايير الضبط الاجتماعي ونتج عنه تفكك تنظيم الأسرة، إذا ما اختل سلوك رب الأسرة أو ربة البيت ستؤدي إلى تشكيل الصعوبات الدراسية على طالب المدرسة في مختلف المراحل الدراسية ضغطاً شديداً في حالة عدم استجابته للوائح المدرسة أو المعهد أو الكلية، فهو مطالب بأن يحقق النجاح في الدراسة، لإرضاء طموحه الشخصي الذاتي أولاً، ورد الجميل لأسرته التي خصصت من دخلها المادي كنفقات الدراسة ثانياً فضلاً عن المؤسسة التعليمية التي صرفت الأموال المتمثلة في مستلزمات الدراسة كتوفير المدرسين المتخصصين والاحتياجات المادية العلمية في العملية التعليمية، والحياة العاطفية بوصف النفس الإنسانية الوعاء والبوتقة التي تصب فيها هذه الإرهاصات.

أما الضغوط الاقتصادية، فلها دور واضح في تشتيت جهد الإنسان وإضعاف قدرته على التركيز والتفكير، سيما حين تعصف به الأزمات المالية أو الخسارة أو فقدان العمل، وبالتأكيد سينعكس ذلك على حالته النفسية، وينجم عن ذلك عدم قدرته على مسايرة متطلبات الحياة. في حين ان الضغوط العاطفية بكل جوانبها، النفسية والانفعالية، فإنها تمثل للإنسان اهم مستلزمات وجوده الإنساني. فالعاطفة لدى الإنسان غريزة اختصها الخالق (عز وجل) عند البشر دون باقي المخلوقات. فعندما يعاق الإنسان في طلب الزواج والاستقرار العائلي بسبب الحاجة الاقتصادية أو عدم الاتفاق مع شريك الحياة وتتعثر جهوده في الاستقرار الزواجي، ستكون نتائجه نفسية، مما يجعله يرتبك في حياته اليومية وتعامله في عمله كذلك. وتمثل هذه إضافة إلى مشكلات عدم الاتفاق بين الزوجين، أو صعوبة اختيار شريك الحياة، أو مشكلة الانفصال بين الزوجين. ليدخل الفرد في دوامة مشكلات عاطفية يبحث عن حلول لها.

ان تفاصيل الحياة اليومية تحمل معها تحديات يدركها الإنسان في تفاعله بالمواقف المختلفة سواء في العمل أو التعامل مع الناس أو ضعف إشباع حاجاته المتنوعة، مما يؤثر في عملية التوافق النفسي، وقد يفشل في هذه الموازنة الصعبة، فحتى أسعد البشر تواجههم الكثير من خيبة الأمل والصراعات والإحباط والأنواع المختلفة من الضغوط اليومية، ولكن عدداً قليلاً منهم نسبياً، هم الذين يواجهون الظروف القاسية[1]. كذلك أكدت التجارب أن زيادة الضوضاء تؤدي إلى الإضرار براحة الأفراد مما يدفعهم إلى الملل والضجر وعدم القدرة على التركيز، ويؤدي ذلك إلى خفض إنتاجهم، وقد يتسبب عن الضوضاء في بعض الحالات صمم وإجهاد نفسي أو اضطراب عصبي نتيجة للتوتر الذي تسببه الضوضاء[2]. وفي بعض الدول الصناعية في أوربا وأمريكا الشمالية، أثبتت بعض الدراسات أن 43% من حوادث العمل كانت بسبب الأخطاء الناتجة عن عوامل أربعة، التعب، جو العمل، كثافة العمل، المشكلات العائلية[3]. وهكذا تشكل الضغوط بأنواعها إجهاداً على الإنسان في عمله، ولكن تبقى الفكرة الدينية القائلة بأن العمل واجب مقدس، وان العمل عبادة في معظم المجتمعات. وقد أثبتت معظم الدراسات أن الإنسان بلا عمل يتعرض أيضاً للضغوط وهي الناجمة عن البطالة. أما الضغوط الناجمة عن العمل، فهي الإرهاق بفعل ساعات العمل الطويلة، ونوعيته وأوقاته المختلفة. وفي كلتا الحالتين يؤدي الضغط إلى ارتفاع مستوى الهرمونات المرتبطة بالتوتر، فتكون هناك شكوى من حالات مرضية كثيرة.

أما المرأة قد تغير دورها جذرياً خلال الربع الأخير من القرن العشرين في مجتمعاتنا العربية عموما وفي مجتمعنا العراقي خصوصا، فقد أصبحت المرأة

---

[1] دافيدوف، ل.لندا، مدخل علم النفس، ترجمة سيد الطواب، دار ماكجروهيل، القاهرة، 1983، ص616.

[2] جرجس، ملاك، سيكولوجية الإدارة والإنتاج، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص217.

[3] ستورا، جان بنجامان، الإجهاد، منشورات عويدات، بيروت، 1997، ص156.

تشارك أسرتها في تحمل المسؤولية ويقع عليها أيضاً عبء الحياة من خلال معايشتها مع أسرتها إن كانت غير متزوجة، أو متزوجة فهي تتحمل أكثر بمشاركة الزوج طموحاته إضافة إلى زيادة مصادر الضغوط الناتجة عن الواجبات المنزلية وتربية الأبناء وتوفير الراحة للأسرة، سيما في مجتمعنا العراقي الذي عصفت به الأزمات وابتعد عن الاستقرار والتماسك نتيجة اتساع التحديات الخارجية والداخلية. فأصبح البحث عن مكان آمن، وإيجاد متنفس للتعبير عن الرأي الشاغل الأهم لدى الرجل والمرأة. وعانت المرأة العراقية كثيراً بقدر معاناة الرجل من حيث عدم الاستقرار والتهجير وعدم الشعور بالأمان والبحث الدائب عن المستقبل الأمين. فإذا كانت ردود الأفعال لدى الرجال تتضح بحالات التجهم والكآبة الطارئة، والتحدث بصوت مسموع وهو يمشي في الشارع (هلوسة)، فعند المرأة تظهر على شكل أعراض جسمية مثل الإسقاط والإجهاض والعقم وخلل الهرمونات الأنثوية والذكرية، وارتباك العادة الشهرية، والتوترات التي تعتري مرحلة ما قبل الحيض، والصداع، وحالات الانهيار ما بعد الولادة، والاكتئاب، وظهور أعراض سن اليأس المبكر وتأخر سن الزواج (العنوسة).

إن المرأة حينما تتعرض للضغوط الناتجة عن دورها البيولوجي، وما يرافقه من قلق وترويع وخوف بسبب الانهيار الأمني في الواقع اليومي، أو اختلال في ساعات النوم بسبب مداهمات التفتيش الليلي من قبل القوات الأمنية، أو حالات الصداع المستمر، وبالتالي تضعف لديها المقاومة الجسدية، وبمرور الوقت تنهار المقاومة وتكون عرضة للأمراض بأنواعها. وربما تؤدي بها إلى الموت الاجتماعي في دورها الأسري، فنجدها تحاول التشبث بما أمكن من تماسك الأسرة في هذه الظروف التي تمر بها، والإحساس بعدم الاستقرار للعائلة، سيؤثر كثيرا على البنية الأسرية وتنظيمها، في ضياع أهدافها، وضبابية مستقبلها. وهو يشكل لدى المرأة الجزء الأكبر من هذه المعضلة، فدورها يكمن في امتصاص مخاوف الرجل من خلال إضفاء الأمان على أفراد الأسرة وتبديد مشاعر الخوف. إن المرأة عندما تأخذ

هذا الدور داخل الأسرة، إنما تشارك بشكل فعال في الحفاظ على قوة الأسرة في مواجهة قسوة الحياة بأشكالها الاقتصادية والأمنية والاجتماعية في المجتمع. وقد تتعقد هذه الضغوط وخاصة الاجتماعية، فيسعى الفرد لحلها، وتولد له ارتجاجاً يعجز عن قلبه إلى اتزان، فيعاني مرارة الإحباط، وخاصة عندما تنشأ عن مطالب اجتماعية منحرفة[1].

إن العلاقة المركبة بين الشخصية والثقافة ووسائل الاتصال دفعت العديد من المهتمين إلى عدم الفصل بينها وذلك بسبب نمط العلاقة القائمة على التأثر والتأثير، وان احدهما قد يكون سبب ونتيجة للآخر، مما يجعل من الصعوبة دراسة احدها بمعزل عن تأثير الآخر. فالشخصية العراقية بوصفها الوعاء الذي تصب فيه روافد الثقافة، والتي بدورها تنمي وتغير سمات الشخصية واتجاهاتها، أما الشخصية فقد تغير الثقافة من ابتكاراتها واختراعاتها وإبداعاتها. فنرى عجلة العمل تسير في كل مفاصل المجتمع الحياتية على الرغم من انعدام الركائز الأساسية للعيش، واهمها الأمن والغذاء والصحة. فمن سمات الثقافة الاستمرار والتراكم والتغير، فإن ثقافة كل شعب تتعرض إلى الحذف والإضافة والتجديد وفقا المرحلة الزمنية. والتغير يكون بفعل عوامل داخلية تخص المجتمع ذاته، وخارجية قادمة منتشرة عن طريق عوامل الانتشار الثقافي، وهذا يجعل ثقافة الشعوب تحتك وتتفاعل مع الثقافات الإنسانية الأخرى لتكتسب سمات جديدة وتفقد أخرى بفعل المناقلة الثقافية (التثاقف أو المثاقفة)، ومن ثم الاستعارة والاقتباس الثقافي، وهذه كلها تصب في بوتقة الشخصية لتضيف وتحذف سمات وخصائص نفسية واجتماعية وثقافية، وهذا قد يحدث بفعل وسائل الاتصال.

---

[1] أسعد، يوسف ميخائيل، علم الاضطرابات السلوكية، مؤسسة النوري للطباعة، دمشق، 1986، ص102.

المبحث الثاني

الثقافة Culture

بما أن الإنسان كائن اجتماعي بالطبع، أي يميل إلى الاجتماع مع غيره من الجماعات البشرية والعيش معهم لإشباع حاجاته المتعددة والمختلفة، من خلال الاتصال بهم والتواصل معهم، عبر ما هو مادي/ تقني، ومنها ما هو معنوي/ بيولوجي واجتماعي. وبالتالي خلق نمط معين من طريقة وأسلوب للعيش في الحياة اليومية والتي انتهت بإنتاج شخصية تحمل ثقافة معينة بمركباتها وقطاعاتها ومعاييرها المتعددة والمحددة.

أ- القيم الاجتماعية social values

إن القيم value هي الأهداف الأيديولوجية التي توجه تفكير الأفراد والجماعات وأفعالهم في حضارة معينة ، أي أنها تصورات الأفراد والجماعات للأمور المثالية المرغوب فيها، والتي تتحكم بعملية الاختيار بين الأساليب والوسائل المتاحة للوصول إلى أهداف معينة ضمن الإطار العام للحضارة التي ينتمي إليها أولئك الأفراد وتلك الجماعات[1].

أما **القيم الاجتماعية social values** فهي الصفات التي يفضلها أو يرغب فيها الناس في ثقافة معينة ، وتتخذ صفة العمومية بالنسبة لجميع الأفراد ، كما تصبح من موجهات السلوك أو تعتبر أهدافا له[2]. فنرى إن وظيفة الأسرة ودورها في تنشئة أبنائها وفقا لقيمها الدينية وتقاليدها الاجتماعية والحضارية، قد ضعفت وحلت محلها أهم تقنيات الاتصال (البث الفضائي، الشبكة المعلوماتية، الهاتف النقال)، التي دخلت إليها وأدت إلى تمزيق نسيجها الاجتماعي وعلاقاتها الاجتماعية وسلبتها وظيفتها في التنشئة الاجتماعية. إذا ما علمنا نوعية البرامج التي تبث في

---

[1] سليم، شاكر مصطفى، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت، الكويت، 1981، ص230.

[2] بدوي، احمد زكي، معجم العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص398.

الفضائيات معظمها يتبنى الترويج للثقافة الغربية، فضلا عن الأفلام والمسلسلات الأجنبية المدبلجة واللقاءات الفنية للممثلين والمطربين وما يحمل ويروج بعضهم من ثقافة الخلاعة والتخنث والترويج لها لنشرها بين الشباب بدلا عن ثقافة الاحتشام والحياء والمسؤولية الاجتماعية والوطنية والكرامة والعفة والشجاعة والفضيلة والتكافل والتضامن الاجتماعي.

ومن صور انتشار القيم الاجتماعية الغربية في الواقع، التشريعات والقوانين ولاسيما في الجانب الاجتماعي. وتجريم تعدد الزوجات دون موافقة الزوجة الأولى، وكلها تخالف القيم الدينية والشريعة الإسلامية والأخلاق والتقاليد العربية الأصيلة. في الوقت الذي يهرول بعض العرب وراء تقليد الغرب واقتباس طرز ثقافتهم، فان الغرب أنفسهم بدأوا ينتقدون أنماط ثقافتهم وقيمهم على لسان مثقفيهم من خلال تأكيد الكاتبان (هورني Horney) و(اريك فروم E.from) بأن "الثقافة الغربية ثقافة استلابية تؤدي إلى إيجاد شخصيات عصابية تخشى من الحرية لأنها ثقافة تركز على التربية انطلاقا من وضعيات مرضية قائمة على المنافسة والإخفاق والتردي والعزلة العاطفية"[1]. فإذا كان هذا رأي مثقفيهم فما الجدوى من إرسال طلبتنا إلى الجامعات الغربية للحصول على شهادتي الماجستير والدكتوراه في التربية مع أن واقعهم يعكس فشل تربيتهم وتنشئتهم الاجتماعية في الحد من السلوك الانحرافي والإجرامي.

إن القيم والعادات والتقاليد العربية الإسلامية، تمثل إرثا ثقافيا وحضاريا تلعب دورا مهما في رسم صورة الحياة الاجتماعية في المجتمع، من نمط التنشئة الاجتماعية السليمة وغرس السلوك الاجتماعي السوي وما لهذا من دور مهم في التثقيف الأمني، ولا يمكن استبداله بآخر يمثل نقيضه، لأنه تراكم تاريخي وديني وأخلاقي. ونراه منشغلا بفرديته وأموره الشخصية أكثر من اهتمامه بواقع أمته وما

---

[1] ميكشيللي، اليكس ، الهوية، ترجمة د.علي وطفة، دار النشر الفرنسية، 1993، ص149-150.

يحاك لها من خطط ومشاريع تهدد وجوده وكرامته وكيانه وهويته، بل انه غير مكترث لما يحصل في الأجزاء الأخرى من جسده العربي، من جرائم واعتداءات وانتهاكات لآدمية الإنسان في فلسطين والعراق وسورية وغيرها.

وفيما يتعلق بالاتجاه القومي العروبي فقد بانت أبعاد تغريبه، أن تكررت في أسماعنا هنا وهناك، أصوات تعكس ضيق الانتماء- وهو ما سعى إليه الغرب - إلى الوطن العربي. ومن الانتماء إلى الوطن العربي وقضاياه، أصبح الاهتمام بالقطرية ومنه إلى المحلية ثم القبيلة والعشيرة والمذهب والطائفة والمنطقة. فضلا عن التجاذبات والصراعات السياسية والمحاصصة الطائفية التي خلقها الغرب بين الإدارة السياسية من طالبي المناصب. إن هذا دليل على طغيان ثقافة جديدة وافدة على الحياة اليومية في المجتمع، بكل جوانبها السياسية والاجتماعية والثقافية. وتحول نمط تفكير الفرد في الغالب من التكافل والتضامن إلى الفردية والمصلحية والمادية والأنانية، بدل روح الجماعة والإيثار والتضحية. والانشغال في متابعة المسلسلات المدبلجة وتقمص سلوكيات وأدوار شخصياتها التي تتقاطع مع المنظومة القيمية لثقافتنا، والاتصال عبر الشبكة المعلوماتية لتكوين صداقات بين الجنسين. أما النخب وهم قلة بالتأكيد فإنهم يقارعون الاحتلال سياسيا وعسكريا وثقافيا في الواقع اليومي نيابة عن هؤلاء المتغربين.

إن القيم الاجتماعية بواقعها الحالي، تعكس الوهن والتهافت القيمي والأخلاقي، وهي نتاج لسياسة التغريب التي ينتهجها الغرب من خلال قانون القوة وليس قوة القانون الذي يريده، وهو ما عكف على ممارسته الغرب في غزوه الثقافي لاختراق مجتمعنا وثقافتنا وتسببه في إحداث تغييرا له أبعادا قيمية وأخلاقية في حياتنا اليومية، من خلال تفكيك وتشتيت مرتكزات القيم الدينية والاجتماعية والثقافية، لتتحول نزعته الجماعية إلى الفردية، والروحية إلى المادية، والتعاونية إلى الصراعية.

ب- التقاليد الاجتماعية social traditions

وهي عناصر الثقافة التي تنتقل من جيل إلى جيل عبر الزمن وتتميز بوحدة أساسية مستمرة[1]. وتمثل تراثا اجتماعيا لا يستند للمنطق، بل تؤخذ كمسلمات محوطة بما يشبه التقديس، وكلما كان المجتمع صغيرا ازداد بروز التقاليد فيه كأداة لتقرير السلوك الاجتماعي وخلاف ذلك تقل فيه التقاليد ويضعف تأثيرها في الحياة الاجتماعية[2]. كذلك تشكل طرائق جمعية للسلوك مستقلة في وجودها عن الفرد وتفرض نفسها عليه وتعبر عن تقوية الشعور الجمعي، وتحقيق الاندماج التام بين عناصر المجتمع، وهي من صنع الماضي ودعامة الحاضر وحصيلة التجربة العملية للمجتمع، ومعيار عام للتنظيم والقيم الاجتماعية، وهي في صراع مستمر مع التجديد والروح العصرية، وفي كل تطور أو ثورة محاولة للقضاء على تقاليد قائمة وإحلال تقاليد جديدة محلها[3]. وقوتها تعتمد على التلقين والمحاكاة وتهدف إلى الشيوع والانتشار[4]. وتغير التقاليد في الثقافة الشعبية في الواقع العراقي يتجلى في نظرتهم إليها على أنها شيء مضى وانتهى ومن الضروري إتباع الأنماط الجديدة الدخيلة على الواقع، ومثال ذلك مشاركة الأسر المتجاورة مع بعضهم في المناسبات والأعياد الدينية والاجتماعية في عمل المعجنات والحلوى، والحرص على استمرار الزيارات بين الأفراد والأسر داخل البيوت لتقوية أواصر العلاقات الاجتماعية والتواصل فيما بينهم كجزء من الحقوق على بعضهم البعض وهذا ما كان عليه المجتمع في السابق، ونجد نسبة من التماسك الاجتماعي ما زال مستمرا في المناطق الشعبية في المدينة القديمة.

---

[1] كلايد كلوكهن، الإنسان في المرآة، ترجمة وتعليق د.شاكر مصطفى سليم، المكتبة الأهلية، مطبعة أسد، بغداد، 1964، ص398.

[2] سليم، شاكر مصطفى، المصدر السابق، ص 903.

[3] مدكور، إبراهيم، المصدر السابق، ص169 .

[4] محمد الجوهري وآخرون، دراسات في علم الفلكلور، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1998، ص129-130.

ج- العادات habits

وهي ما يكتسبه المرء في سلوكه الاجتماعي من مهارة جسدية أو حصافة أو تقنية وتكون تكرارية، آلية[1]. وهذه انحصرت تقريبا المهارات التقنية الفكرية سيما في التصفح في الشبكة المعلوماتية، أما مهارات الحرف اليدوية فتكاد أن تزول من واقع المجتمع على الرغم من جودتها وجمالها، بسبب توجه سياسة السلطة نحو الاستيراد وضعف دعم الصناعة المحلية الوطنية كجزء من استبدال ثقافة الإنتاج بثقافة الاستهلاك.

د- العلاقات الاجتماعية social relationships

وهي النسيج الذي يربط الأفراد بعضهم ببعض لإشباع حاجاتهم المختلفة وتحقيق أهدافهم، ومنها علاقات الزواج والصداقة والجيرة والعمل والتي تشكل التنظيم الاجتماعي للمجتمع. والروابط المتبادلة بين أفراد وجماعات المجتمع التي تنشا عن اتصال بعضهم ببعض، وتفاعل بعضهم مع البعض، مثل روابط القرابة، والروابط التي تقوم بين أعضاء الجمعيات السرية وأعضاء المؤسسات الاجتماعية وأفراد الطبقات الاجتماعية والسياسية المختلفة في المجتمع[2]. وهذه العلاقات الاجتماعية تمزقت بنسبة عالية بسبب الخطط الأمنية التي قطعت أوصال المدينة بوضع الأسلاك الشائكة وجدران الفصل العنصري والحواجز الترابية بين الأزقة والأحياء السكنية وبالتالي أصبح من الصعوبة على الأفراد التفاعل الاجتماعي social interaction اليومي مع الأصدقاء والأقرباء كحقيقة أساسية لكل الحياة الاجتماعية، وسلوك ارتباطي بين الأفراد والجماعات، بسبب غلق المناطق وإبقاء منفذ واحد فقط للدخول والخروج منها عن طريق تصاريح خاصة بكل منطقة سكنية بشكل يذكرنا بالمعابر الفلسطينية في غزة والضفة الغربية، وهذا يدل على وحدة المنهج والسياسة والهدف بين الاحتلالين الصهيوني والأمريكي. وهذه الوضع قد

[1] خليل، خليل احمد، معجم المصطلحات الاجتماعية، دار الفكر العربي، بيروت، 1995، ص273.

[2] سليم، شاكر مصطفى، المصدر السابق، ص901.

افرز اتجاهين على أنماط العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. فمنهم من جعل هذه الحواجز ذريعة للتنصل عن الواجبات الاجتماعية في المناسبات الشعبية، وآخرين جعلوا منها دليل على تواصلهم رغم معاناة الوصول كتحدي ورسالة للآخرين بضرورة عدم المساعدة في تحقيق غاية المحتل بتمزيق النسيج الاجتماعي الذي يؤلف ثقافتهم الشعبية. فالتفاعلات اليومية التي يقوم بها أشخاص يمثلون أدوارا مختلفة ويتميزون بشخصيات متباينة ليؤدي إلى تحطيم الفروقات الاجتماعية البسيطة بين السكان[1]. ليؤدي هذا إلى امتزاج وانصهار أنماط من السلوك behavior والعادات والتقاليد المتنوعة أو المختلفة في وحدة متجانسة فيما يسمى بالتمثيل الاجتماعي social assimilation.

إن العولمة الثقافية تركت في ثقافة المجتمع أبعادا وآثارا في نظمه الاجتماعية وقيمه وعاداته وتقاليده السائدة في مفاصل الحياة الاجتماعية اليومية. مما جعل سمات ثقافية غربية غريبة، تطفو على السطح الاجتماعي والثقافي فيه، وفي عدة مستويات، منها القيم الاجتماعية وصور التفاعل الاجتماعي ونمط العلاقات الاجتماعية والسلوك الاجتماعي واللغة ونمط التفكير وتغيير مورفولولجية الجسد والتلاعب بتناسباته الفطرية/ الإلهية، فضلا عن المظهر الخارجي "ثقافة الملبس" للأفراد.

هـ- السلوك الاجتماعي

إن التقنيات لعبت دورا كبيرا في تغيير الثقافة، عند دخولها إلى البيت العراقي بوصفها القنوات التي تمرر عبرها العناصر الثقافية الجديدة الوافدة. مما أدى إلى خلق مشكلات اجتماعية على مستوى الفرد والجماعة، بإنتاج شخصيات تحمل سلوكيات قد لا تتناسب مع القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية العربية والإسلامية. ومن هذه التقنيات، الحاسوب واستخدامه في الدخول إلى الشبكة المعلوماتية، فان

---

[1] أبو عياش، عبد الإله، أزمة المدينة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص99.

الجلوس أمامه الساعات وسوء اختيار المواقع في الاتصال، سيؤدي إلى تمزيق النسيج الاجتماعي للأسرة وجعل الفرد يعيش في عزلة اجتماعية بعيدا عن توجيهها ومتابعتها، في الوقت الذي تبث معظم المواقع الغربية الهادفة للتغريب، السموم الاجتماعية والسياسية التي يتشربها الفرد في عزلته هذه، فتحل هذه التقنيات محل الأسرة في تنشئته الاجتماعية. وبالتالي إنتاج شخصية ذات أنماط سلوكية تتقاطع مع قيمنا الدينية والأخلاقية، لا تؤدى واجباتها في الزمان والمكان والمواقف الاجتماعية المناسبة. بل أن هذا الوضع خلق لنا ما يسمى بالمجتمعات الافتراضية والرقمية أو مجتمع الاتصالات، الذي يتضمن قيم وأفكار وأخلاق هجينة قادمة من مصادر مختلفة، تحمل اتجاهات سلبية للثقافة العربية ومعاداة تراثها، وتميل إلى تقليد الغرب بأنماط حياتهم الاجتماعية وما فيها من سلوكيات يومية.

ومن مظاهر ذلك، ظهور أنماط من الجريمة لم يألفها المجتمع من قبل لبعدها عن ثقافته كجرائم الخطف والسرقة بأساليبها الغربية المقتبسة من الأفلام الأجنبية والمسلسلات المدبلجة. مما يؤكد تأثير التقنيات في رسم السلوك الاجتماعي للفرد. ويتجلى هذا في انشغال أغلبية الشباب وانهماكهم في مسائل أكثرها ضارة لا نافعة فيها الكثير من إهدار الجهد والوقت والمال، وعدم استثمار طاقاتهم الشبابية في بناء المجتمع ماديا ومعنويا، علميا وعمليا. ومنها إرسال الرسائل عبر الجوال والانترنت وبعض الفضائيات التي تبث السموم الفكرية والاجتماعية في معظم برامجها التي تتمحور في تركيز الحديث عن الحب والجنس والصداقة على الطراز الغربي وضرورة الاختلاط بين الجنسين في الحياة العامة بتفاصيلها.

وبدل من توجيه الطاقات إلى العلم والعمل وبناء المجتمع ومقاومة الثقافة الوافدة سيما ذات العناصر الهدّامة، توجه لمتابعة أخبار الفنانين وميولهم وأزيائهم وألوانهم وأغنياتهم وأكلاتهم وتسريحاتهم، والرياضيين وعقودهم ومبارياتهم وإصاباتهم. فضلا عن متابعة أنواع العطور ومساحيق التجميل للنساء والرجال وإكسسوارات الزينة، وبرامج تخفيف الوزن والأكلات ومقاديرها، ودعوت للتعارف

والبحث عن صديق وإرسال الرسائل الماجنة والصور الجنسية. أما الأسئلة المطروحة فهي..هل هذه السلوكيات تعبر عن القيم الدينية والاجتماعية والثقافية العربية والإسلامية؟ هل هي وليدة اليوم أم أنها نتاج لمنهج مُعد له مسبقا ؟ هل ستبقى على هذا المستوى أم أنها ستتغير نحو الأسوأ ؟ هل جاءت بشكل عشوائي واعتباطي أم وفق برامج ومناهج مخطط لها؟ هل أن هؤلاء قادة المستقبل وبسلوكياتهم وثقافتهم هذه ستحل مشكلات الأمة القومية والدينية والمصيرية وتتحرر الأرض والوطن؟ وأخيرا كم سنحتاج من الوقت لإعادة شبابنا إلى الحاضنة الثقافية العربية والإسلامية بقيمها وارثها الحضاري؟ إذا ما علمنا أن الفرنسيين في استطلاع للرأي، بدئوا يتقززون من البرامج المعروضة في القنوات الفضائية العربية غير الرسمية، لأنها تروج لممارسة الجنس الافتراضي لاسيما في أغاني الفيديو كليب، لأن الأفلام الجنسية تبث عبر قنوات خاصة لها مشتركيها ولا تدخل إلى جميع الأسر دون استئذان.

في الوقت الذي نسير فيه نحو اقتباس الثقافة الغربية بسماتها وخصائصها المختلفة عن ثقافتنا، فإننا نسمع المجتمع الغربي ينادي بضرورة العودة إلى الأخلاق والقيم والفضائل، لأنها الحل والعلاج للكثير من مشكلاتهم الاجتماعية. حيث يرى **(جيمس باترسون)** و**(بيتر كيم)** أن(80%) من الأمريكيين يؤيدون تدريس المبادئ والقيم الأخلاقية في المدارس الأمريكية، ويعتقد الكثيرون أن الانحطاط الأخلاقي هو المشكلة التي تعاني منها البلاد[1]. وازدياد الدعوات التي تطالب بعودة المرأة إلى البيت وفصل الأولاد عن البنات في المدارس، وكثرة حوادث القتل التي يقوم بها جماعة من المتطرفين الدينيين ضد الأطباء والعاملين في عيادات الإجهاض مما اضطرهم إلى ارتداء ستر واقية للرصاص والاستعانة بالشرطة أثناء عملهم[2]. فهذه

---

[1] جيمس باترسون وبيتر كيم، يوم اعترفت أمريكا بالحقيقة، ترجمة سعود محمد البشر، الرياض (السعودية)، 1994، ص197.

[2] Loses its liberty "in bennard Levin 'America times, 12, aug, 1994.

القيم والأخلاق الغربية في عين المثقف الغربي، فكيف نتجه نحوها لإحلالها بدل ثقافتنا بقيمها، كالتسامح والإيثار والعفة والنخوة والشجاعة والسلام، واستبدالها بثقافة النفعية والمادية والخضوع والانبطاح.

إن هذا الوضع خلق لنا سلوكيات نابعة من تغيير في منظومة القيم التي تشكل جزء من النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع. ومن مظاهر هذه السلوك الغريب نسبيا، انه قبل عام 2003 كانت الأم أو البنت داخل المنزل تتحرج من القيام بإجراء اتصال هاتفي (ارضي لعدم وجود الهاتف النقال) أو الرد على المكالمات، سيما عند وجود الأب أو الأبناء الكبار، أما الآن فان رب الأسرة هو الذي يبادر بشراء الهاتف، بل أصبح لكل منهن خط هاتف خاص بهن. أي أن غالبية الإناث في الأسرة أصبحن يمتلكن هاتف نقال، ومنهن الفتيات والمراهقات والموظفات والطالبات وربات البيوت، واللاتي يختلفن في طرائق التفكير والنضج الاجتماعي، لينعكس على ثقافة استخدامه، ويكون تحت دواعي الاطمئنان على سلامتهن خارج المنزل بسبب عدم استتباب الأمن داخل المجتمع. وهذه العملية تتيح فرصا عديدة لهن، بسبب حرية استخدام هذا الجهاز في الغرف أو الأماكن التي ينفرد بها الشخص وينعزل، وهذا ينطبق كذلك على أفراد الأسرة من الذكور ويعبر عنه في سلوكيات التحرش والمشاكسة. وهذا عموما شيء طبيعي عند المجتمعات الأخرى وثقافاتها، لكنه يعد غريبا نسبيا عن ثقافتنا لأنه جاء من العدم وبعد المنع، ليطبق بدون إن يسبقه مرحلة تثقيفية وتوعوية على استخدامه في الحياة الاجتماعية اليومية.

ومن المظاهر السلوكية كذلك قيام الشباب باستخدام الهاتف النقال في دور العلم داخل القاعات الدراسية وأروقتها، وبصوت مرتفع يؤثر كثيرا على سير العملية التعليمية، أما النساء فيستخدمنه في الأماكن العامة، كالشارع والأسواق والتي لم تكن موجودة في سلوكياتهن، فضلا عن أن قسوة وسلبية حكم نظامنا الاجتماعي عليهن، وان التحدث في الهاتف في مكان عام وبصوت مسموع

للآخرين من قبل الفتيات والنساء، يعد سلوكاً غير مقبولاً من أغلبية أفراد المجتمع بوصفه جزء من المحافظة والاحتشام وجزء من حُرمتها. لان طبيعة التنشئة الاجتماعية وما تتضمنه من نمط القيم والعادات والتقاليد التي تضبط مثل هذه السلوكيات ترفضها وتمنعها على الأغلب. وكذلك فان الاستماع إلى النغمات وبصوت مرتفع يصل إلى حد الإزعاج وكأنه إذاعة متنقلة، سلوك لم يكن موجودا في السابق ويعبر عن برامج الفضائيات وثقافاتها. وهو ما يعكس تثاقف ثم اقتباس شكل العنصر الثقافي دون مضمونه ووظيفته الحقيقية التي اخترع من أجلها، ألا وهي المساعدة في قضاء حاجات الأفراد، دون استخدامه بشكل سيء ومفرط في غير وقته ومكانه. وكل ذلك من أهم أسبابه غالبا، العزلة الاجتماعية والثقافية للمجتمع في السابق، وكذلك الفهم الخاطئ لمفهوم الحرية الشخصية وحرية الرأي والتعبير والديمقراطية وحقوق الإنسان التي صدرت إلينا، في واقع مرير تنتهك فيه المقدسات والمحرمات على أيدي دعاة الحرية وحقوق الإنسان.

و- ثقافة الملبس ومورفولوجية الجسد

بعد دخول العناصر الثقافية واقتباسها واستخدامها من فئات عديدة من أفراد المجتمع، أدى ذلك إلى بروز العديد من المظاهر، منها ما يتعلق بالمظهر الخارجي للأفراد، من ثقافة الملبس التي تشمل نوعية وشكل الملابس وتسريحة الشعر والسلاسل والقلائد والأقراط والرسم على الجسد (الوشم). أن حداثة الفكرة هي التي تحدد رد فعل الشخصية تجاهها، فهي قد تضيق أو تتسع، وقد تضمنت حركات اجتماعية Social movements أو تقاليع أو بدع في الملبس[1]. وان ما يشاهده ويطلع عليه الأفراد من خلال وسائل الإعلام ومن مجتمعات وثقافات مختلفة يؤدي إلى تفاعل الثقافات وينتج عنه اقتباس ثقافي لبعض الطرز الثقافية. وان اقتباس الزي الغربي يعبر عن عملية صهر ثقافية Cultural assimilation، من خلال

---

[1] عودة، محمود، أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، ذات السلاسل، ط2، الكويت، 1989، ص183.

عملية التبني والتذويب التي تحصل لبعض السمات الثقافية المستعارة من ثقافات غير التقليدية[1].

ونرى مظاهر كثيرة فيما يتعلق بالمظهر الخارجي للأفراد ونمط ملبسهم في واقعهم اليومي الذي لم نعتد عليه في السابق، وهو في حقيقته (تثاقف منظم من جهة مهيمنة) واقتباس سمات من ثقافات غريبة عن ثقافة مجتمعنا، فلم نكن نرى مثلاً، بعض من رجال الأمن يضع النظارة الشمسية السوداء بتسريحته الغربية الغريبة مقلداً جنود المارينز الأمريكيين، واضعاً مسدسه على فخذه يذكرنا برعاة البقر (الكاوبوي) وقد لفّ جبينه بقطعة قماش تذكرنا بقراصنة البحر، معلقا بندقيته على رقبته وموجهة إلى المواطن متخذاً هيئة المهاجم، بشكل نراه فقط عند الجيوش المحتلة، سيما الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، ومرتديا زي الجيش المحتل بلونه وطرازه. أما جنود الاحتلال فكانوا يؤدون الرقصات والدبكات الشعبية العراقية في قواعدهم العسكرية أو في لقاءاتهم مع بعض من رجال ما يسمون بالصحوات الذين قاتلوا جنباً إلى جنب معهم في بعض المعارك. وكذلك نرى مظاهر كثيرة ومتنوعة عند بعض الزمر والجماعات من أفراد المجتمع، منها تسريحة الشعر فهناك من جعلها طويلة إلى الأكتاف مع ربطها وتصفيفها بشكل نسائي خصوصاً عند الرياضيين والفنانين وطلبة الجامعة، مع وضع كميات كبيرة من كريم الملمع وبشكل مفرط مع حلاقة غريبة للشارب واللِحى من حيث رسمها وشكلها، وارتداء الملابس الضيقة ذات الألوان البراقة مع الأحذية ذات الشكل واللون الغريبين، وهذا كله تثاقف واقتباس من البرامج التي تبثها الفضائيات. وعليه فانه أصبح من المتعذر تفريق الذكر من الأنثى وذلك للتشابه الكبير في المظهر الخارجي لهما. أما ما يخص الإناث فنرى الألوان البراقة في الملابس الضيقة والشفافة مع شيوع ارتداء البنطال ذي اللون البراق الذي يثير الانتباه في منطقة حساسة من الجسم، بشكل يبرز مفاتن الجسم بشكل مثير في المؤسسات أثناء الدوام

---

[1] معتوق، فريدريك، المصدر السابق، ص114-115.

الرسمي، بعد أن كان من يرتديها يقابل بالاستهجان والرفض من عامة أفراد للمجتمع. كل هذا التقليد يقع تحت فهم خاطئ لمفهوم الحرية. فكيف يجتمع ارتداء البنطال الضيق مع غطاء الرأس (الحجاب)؟ وكيف يكون ارتداء الجلباب الإسلامي مفتوحا مع إظهار البنطال والقميص الضيق؟ مع التفريط في التبرج. كل هذه الطرز الثقافية في حقيقتها ثقافة هجينة مقتبسة لا تنتمي إلى ثقافة مجتمعنا العراقي العربي الإسلامي. إن هذا في حقيقته يمكن إن يكون إحلال حضاري Cultural substitution إذ تحل سمة محل سمة أخرى بشكل جزئي أو كلي، لتشكل عملية تغير حضاري لأنها نتيجة حتمية للانتشار أو الاختراع أو التأثير الحضاري[1]. وتعد أيضا امتزاج ثقافي Acculturation تنتقل بها الثقافة من خلال اتصالات مستمرة مباشرة بين جماعات ذات ثقافات مختلفة[2].

إن ما نراه من مظاهر التثاقف والاقتباس الثقافي، إنما هو تقليد أعمى يكون على شكل التقليد الببغائي، بالشكل لا بالمضمون لعناصر ثقافية غير منتقاة تبعا لفائدتها الأخلاقية والقيمية والحضارية. ولعبت وسائل الاتصال دورا مؤثرا في عملية التغيير الاجتماعي والثقافي في المجتمع ونمط ثقافته. تتجلى ثقافة الملبس في ما يتعلق بالمظهر الخارجي، والتي تشمل نوعية وشكل الأزياء والإكسسوارات وأدوات ومساحيق التجميل وتسريحة الشعر والسلاسل والقلائد والأقراط والرسم على الجسد (الوشم) وتغيير مورفولوجية الجسد و(التاتو)[3]. وهذا يجسد التحدي للخالق (عز وجل) في خلقه للإنسان في أحسن صورة متوازنة في الصفات الجسدية البشرية، في قوله تعالى **((لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)) (التين:4).**

---

[1] سليم، شاكر مصطفى، المصدر السابق، ص229.

[2] بدوي، احمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتب لبنان، بيروت، 1982، ص6.

[3] تغيير تناسبات وملامح الجسد من نفخ الشفتين وشد الخدّين وإعادة رسم الحاجبين وتجميل الأنف ووضع عدسات العيون وتغيير حجم الصدر وبقية أجزاء الجسد.

ز- اللغة والخطاب

إن علم اللغة الجديد أو الحديث ينص على مفاهيم أساسية عدة، أولها التفرقة بين اللغة والكلام، بوصف اللغة نظام اجتماعي مستقل عن الفرد، في حين أن الكلام يشكل جزء من الكيان الفردي، وعلى هذا الأساس تفهم أن اللغة مجموعة من القواعد على صلة بنظام المجتمع، في حين أن الكلام فعل على صلة بالفرد بطريقة مباشرة وغير مباشرة[1]. وان وظيفة اللغة الأساسية هي وظيفة إعلامية، وقد ارتبط استخدام هذه الوظيفة عبر العصور بالاصطلاح والاتفاق على الدلالات التي تحملها البنى اللغوية، وعلى النظام المعهود بين الناطقين هذا من زاوية، ومن زاوية أخرى اتصلت هذه الوظيفة أيضا على الصعيد (الخاص) أي بين الفرد والفرد، وعلى الصعيد (العام) بين البناء الفوقي سلطة، أو مصلحة، أو شخصا اعتباريا، أو مفكرا، أو أدبيا وبين أفراد المجتمع بمدى مهارة القائمين بالاتصال، والوسائل الاتصالية المتاحة لهم[2]. وبما أن تيار التغيير أصاب النظام الاجتماعي بمجمله ونمط شخصية أفراده وان اللغة جزء أساس منه فإنها ستتأثر نسبيا ولو على مستوى الكلام ومدلوله الفردي والجماعي داخل الحياة الاجتماعية اليومية، وكما شبه (دي سوسير) اللغة كورقة ذات وجهين، الأول الدال، والثاني المدلول. فالدال يعني اللغة والمدلول هو الكلام. وانطلق البلاغيون العرب في مباحثهم من فكرة ربط الصياغة بالسياق[3]. من خلال بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال.

هناك مظاهر تجسدت في لغة الخطاب وأسلوبه في الكلام من مفاهيم ومصطلحات لم يعتد أفراد المجتمع على وجودها في شخصية المرأة، سيما بعد

---

[1] حجازي، سمير سعيد، معجم مصطلحات العلوم الإنسانية ونظرية الثقافة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2006، ص169.

[2] نهر، هادي، واحمد الخطيب، إدارة الاتصال والتواصل، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2009، ص15.

[3] العموش، خلود، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديثة، الاردن، 2005، ص54.

دخولها بقوة ميدان السياسة ولعب أدوار قيادية في السلطة. ومن أمثلتها تلك التي يرددها الرجال والنساء في مختلف مجالات المجتمع، التربوية والسياسية والعلمية الأكاديمية والاجتماعية، بخطاباتهم في الحوار والمناظرة وإعطاء الحجج والبراهين في إطار السياسة والثقافة الشخصية في الإقناع وتحقيق الأهداف، بأسلوب ارتجالي يعكس نمط شخصية جديدة تحمل مزيج من الأصالة والاقتباس، فنرى إفراط الساسة باستعراضهم المصطلحات الإنكليزية في ميادين قد لا تتناسب مع المواقف (لكل مقام مقال). أما النساء فتلمس الجرأة والشجاعة في حوارهن عموما في مرحلة اختزلت مسافة فكرية واجتماعية في مجتمع نظامه الاجتماعي يتسم بالصرامة والتحسس تجاه المرأة، بوصفه مجتمعا عشائريا وقبليا في عمومه. وهو انعكاس لظروف وإرهاصات قاسية وصعبة تجلت في عقود من الحروب والحصارات الاقتصادية، أفرزت شخصيات لها سمات تعكس قساوة الواقع الاجتماعي والثقافي فيه.

المبحث الثالث

وسائل الاتصال والتغيير الاجتماعي والثقافي

يعتقد علماء الاجتماع والانثروبولوجيا والاقتصاد، أن الثقافة المادية والحضارية والاقتصادية أكثر ذيوعا وانتشارا من الثقافة اللامادية أو الثقافة المرتكزة على الايديولوجية العقائدية[1]. وان الأفراد اقل مقاومة للتغير في العناصر المادية للثقافة وأكثر قبولا لها وإقبالا عليها، على عكس العناصر المعنوية، إذ أن من الملاحظ والثابت أنهم يقاومون هذا التغير ويعارضونه معارضة شديدة[2]. لان الناس عادة لا يقبلون التغيير وترك القديم إلا إذا ظهرت لهم منافع ومحاسن العنصر الجديد، وامتيازه وتفوقه على القديم، ويبدو بوضوح من العناصر المادية أكثر من المعنوية، لان العناصر المادية محسوسة وملموسة[3]. والأدوات المادية عموماً أسرع في انتشارها من الأفكار التي يتطلب انتشارها تغيرات أقوى في طراز القيم الموجودة في المجتمع المستعير[4].

ويظهر هذا في انتشار عناصر الثقافة المادية بشكل كبير في المجتمع سبق دخول الأفكار والأنماط السلوكية والعقائدية، وفي الكم الهائل من الأدوات التي لم نشاهدها من قبل في مختلف المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والمنزلية. فقد غرقت الأسواق والمحلات التجارية بأنواع كثيرة من الأجهزة الكهربائية والإلكترونية والأزياء والمواد الغذائية والكمالية المستوردة وبشكل غير طبيعي وغير معهود كماً لا نوعاً، وكأن المجتمع أمسى وعاءً فارغاً المطلوب ملؤه بأي شيء مربح مادياً، فامتزج الغث بالسمين. وهذه الأشياء في الوقت ذاته غير خاضعة

---

[1] الخشاب، احمد، المصدر السابق، ص74-75.

[2] الساعاتي، سامية حسن، الثقافة والشخصية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص83.

[3] المصدر نفسه، ص82.

[4] كلاكهون، كلايد، المصدر السابق، ص104.

لضوابط رسمية ورقابة الدولة مع غياب أجهزة التقييس والسيطرة النوعية. وهو ما جعل هذه الأدوات تزداد كماً لا نوعاً لان الهدف هو الربح الفردي، واستغلال غياب أو ضعف أداء المؤسسات الحكومية في السيطرة على الحدود بشكل كامل، وأن دخول العناصر المادية بهذا الشكل أدى إلى انعكاسات اجتماعية وثقافية في نظم المجتمع، لان الحضارة لها جانبين مادي ومعنوي، فان أي تغير يحصل في احدهما يؤثر على الآخر سلباً كان أم ايجاباً.

التقنيات..

لا شك في انه لا يمكن فصل الشباب عن موجات "العصرية" في العالم، حيث يقرأ عنها أو يشاهدها "في الفضائيات أو شبكة المعلومات – الانترنت". وتدخل العناصر الثقافية عن طريق الأفراد باقتباسهم المستمر لها واستخداماتهم إياها، فتأخذ صفة العمومية تدريجيا عن طريق التقليد اولاً، ثم الاقتناع ثانياً، وفي الغالب يقبل الشباب على اقتناء هذه العناصر سيما إذا كانوا غير مقيدين بمصالح وأفكار تقليدية يخافون عليها[1]. وهو ما نراه في أرجاء المجتمع سواء داخل المنزل أم خارجه، في الشارع أو دور العلم أو الأسواق أو المؤسسات، من تزايد اقتباس هذه العناصر المادية، وكأن الضوابط الاجتماعية المحيطة بالفرد بدأت تضعف، وبالتالي اخذ الناس يعكفون على هذه العناصر واقتباسها، لا لأهميتها أو لفائدتها في الأسرة، بل تقليداً ومحاكاةً في نمط من تثاقف عفوي وطبيعي وحر.

1- طبق البث الفضائي Satellite

بعد دخول أطباق البث الفضائي Satellites إلى المنزل، وأصبح لكل فرد جهازه الخاص به، بعد منع النظام السابق لدخوله إلى البلد، وانطلاقا من مبدأ (كل ممنوع مرغوب) بسبب الكبت الذي عاناه الأفراد، وصاحب دخوله سوء الاستخدام والتوظيف العلمي والاجتماعي، فسيؤدى على الأغلب إلى آثار خطيرة لها أبعاد

---

[1] ينظر غيث، محمد عاطف، المصدر السابق، ص285.

مختلفة في بنية الأسرة ونسيجها الاجتماعي نمطها الثقافي. فبعد أن كانت الأسرة تجتمع في غرفة واحدة وعلى مائدة مشتركة تستمع إلى حديث رب الأسرة أثناء جلسات المساء والاجتماع بمناخ يحفه الحب والمودة والدفء الأسري، وما يدور بينهم من توجيه ونصح وإرشاد وتهذيب للسلوكيات، تجسد وظيفة النسق الأسري. فأضحت الآن مشتتة على غرف أفرادها وأصبحت في شبه عزلة اجتماعية وفرقة داخل المنزل. يضاف إليه اكتساب واقتباس ما تبثه القنوات الفضائية من برامج تتضمن أنماط ثقافية بعيدة كل البعد عن ثقافتنا العربية الإسلامية. وإذا ما علمنا بان الأفراد لهم اتجاهات مختلفة عن برامج اغلب الفضائيات. فأي عنصر يَرِد من الجهة التي تكون موضع إعجاب الناس يحضا على اقل تقدير باهتمام حيوي، في حين أن العنصر الذي يرد من مصدر يستخف به الناس لن يحظى بالقبول إلا إذا كان ينطوي على فوائد ملحوظة للمجتمع والمستقبل[1]. ولذلك فإن أفراد المجتمع مختلفين في تثاقفهم وتماسهم ونوعية اختيارهم ولا يتساوون في درجة تقبلهم واقتباسهم للعناصر الثقافية التي تصلهم من الفضائيات. كل حسب اتجاهاته وميوله ورغباته وحاجاته، والتي تتقاطع أحيانا بعضها مع البعض الآخر، بسبب الفروق الفردية فيما بينهم، لتؤدي إلى خلافات أسرية بين الأخوة في مسالة اختيار القناة الفضائية المطلوبة، لينتج عنها بقاء أفراد الأسرة وقتاً طويلاً في غرفهم في تشرذم وتمزق أضعف العلاقات الاجتماعية **Social relationship** فيما بينهم. إن انعدام مجالات التسلية والترفيه للشباب، بسبب ما خلفه الاحتلال من تدمير للمؤسسات الرياضية والاجتماعية، وكذلك القيود الحادة أمام اختلاط الجنسين، لصرامة النظام الاجتماعي السائد في المجتمع، جعل من قنوات البث الفضائي الملاذ والمتنفس لإشباع الحاجات النفسية والبيولوجية والاجتماعية، وتحقيق رغباتهم وفق قناعتهم وتفكيرهم، وبالتأكيد سيرافق ذلك آثار سلبية وإيجابية لضعف الرقابة على البرامج

[1] لنتون، رالف، المصدر السابق، ص454.

والأفكار التي تحملها لهؤلاء الشباب، بسبب التغيير الثقافي والاجتماعي السريع في المجتمع.

2- الهاتف النقال

وهو لا يقل أهمية عن غيره من الأدوات والعناصر الثقافية التي تثاقف من خلالها الأفراد، يرافق ذلك ضعف وسائل الضبط الاجتماعي والرسمي. فبعد أن كان هناك خط هاتف واحد (اتصال سلكي) وسط المنزل، ومعظم المكالمات الصادرة والمستلمة تمر عبر أولياء الأمور، وبعلمهم وضبطهم، أصبح الآن لكل فرد هاتف خاص به، يحمله معه أينما ذهب وأينما يكون، وبحرية كاملة عند اغلب الأفراد ذكورا وإناث ولمختلف الأعمار، مما أدى إلى انعكاسات سلبية أكثر منها إيجابية، بسبب عدم توافق ثقافة استخدامه مع وعي مستخدميه، ومنها إهمال الشباب وتراجع الرغبة في القراءة مما يؤدي إلى خفض الإنجاز الدراسي بسبب انشغالهم بشكل مبالغ فيه، سيما الرسائل القصيرة، والنغمات وغيرها أكثر من اهتمامهم بالجانب الدراسي[1]. وكذلك أدى إلى تقليل الساعات التي ستنصرف في المطالعة والتحصيل المعرفي وانجاز الواجبات الدراسية المناطة بالفرد، وبالتالي تنعكس على الفرد نفسه في إهماله لدروسه والتي تؤدي إلى رسوبه[2]. فضلاً عن إثقال كاهل رب الأسرة ماديا، بإنفاق رصيد إضافي من الدخل الشهري لها وذلك في شراء بطاقات التعبئة والصيانة، في ظل ارتفاع نسبة البطالة وضعف فرص العمل داخل المجتمع. حتى أصبح الهاتف مصدر إزعاج للكثير من الأسر، خاصة الهاتف ذي خاصية الكاميرا، الذي يثير القلق والخوف من سلوك البعض بالتقاط وبث صور الفتيات دون علمهن، فضلا عن ميول المراهقين الشباب إلى مشاهدة الصور الجنسية وإرسالها إلى الآخرين بعد سحبها من مواقع الانترنت. وبالتالي ينتشر هذا اللون بين فئة كبيرة من الشباب، ليفرز إشكاليات وانحرافات سلوكية وأخلاقية

---

[1] الدليمي، عبد الرزاق محمد، المصدر السابق، ص32.

[2] حسن، محمود شمال، المصدر السابق، ص97.

بينهم. أما من ايجابياته فإن معظم الأعمال أصبحت تتم من خلال هذا العنصر مما أدى إلى توفير الجهد والوقت. فضلا عن أهميته في اطمئنان الأسرة على أفرادها في ظل تردي الوضع الأمني في المجتمع.

3- الشبكة المعلوماتية Internet

أما الأداة الأخرى التي لا تقل أهمية عن سابقاتها فهو الحاسوب Computer والذي يرتبط بالشبكة المعلوماتية Internet، وهو وسيلة اتصال مهمة، لحاجته في الحياة الاجتماعية اليومية، إذ أصبح لغة العصر بعد أن تحول العالم إلى قرية صغيرة يستطيع الفرد فيها الدخول إلى أي مكان وفي أي زمان، وتأتي أهميته أيضا في هذه المرحلة من خلال ضعف رقابة وسيطرة الأسرة على ضبط سلوكيات أبنائها سيما المراهقين. وإن دخول الانترنت إلى المنازل وما يرافقه من سوء اختيار للمواقع لبعض فئات المجتمع، سيفسح المجال ويزيد من فرصد دخول عادات وتقاليد تدفع إلى التفكك الأسري والطلاق والانحراف، بعد أن أصبح ارض خصبة لذلك، وخصوصا من شريحة الشباب، لما لهم من دور واثر كبير في المجتمع. وهذا بالتأكيد نتاج لضعف أداء مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية، منها الأسرية والسياسية والاقتصادية والأمنية.

ومن جهة أخرى، إن هذا الوضع لا يخلو من الايجابيات، فإننا نرى إقبالا واسعا على ارتياد مقاهي الانترنت وبأعداد كبيرة ولفترات زمنية طويلة نسبيا، للإفادة العلمية والأكاديمية في المطالعة وكتابة البحوث والرسائل والاطاريح الجامعية وغيرها مما يعمل على رفع الكفاءة العلمية في مختلف الاختصاصات، والاطلاع على مضامين الثقافات الإنسانية وتطورها، والتثاقف معها لاقتباس العناصر الثقافية الايجابية، وبذلك نكون المثاقفة عملية اقتصادية توفر الجهد والوقت لإشباع الحاجات الإنسانية. فتحطيم الانعزال الحضاري يتبع عاجلا أو آجلا بميل

نحو الحياة الدنيوية وظهور النزعة الفردية[1]. فعندما خرج مجتمعنا من عزلته ودخلت وسائل الاتصال إليه بشكل واسع، وعلى نحو مفاجئ بدون مراحل تثقيفية تمهد لاستقبال العناصر الثقافية القادمة، جعلت من الأنانية والفردية بدل الجماعية، والمادية والانتهازية بدل الروحية، هي السمة السائدة في المجتمع، ويتجلى ذلك في سعي أفراد الأسرة إلى اقتناء العناصر الثقافية المادية بشكل فردي، كل له أدواته وأجهزته الخاصة به، بشكل أزعج أولياء الأمور، وهذه خاصية لم تكن موجودة في الأسرة نوعا ما.

ومن نافلة القول أن أي خلل يصيب انساق البناء الاجتماعي للمجتمع فانه حتما سيؤثر على الوضع الثقافي للبناء. فإذا ما خضع نظام جماعة اجتماعية ما، ذات حضارة لها تقليد الاكتفاء الذاتي للاختراق عبر وسائل الاتصال مثلا، فإنها تصبح ذات قابلية كبيرة في التثاقف مع الثقافات والحضارات الأخرى، وحينئذ تضعف القوى التي كانت تقاوم التبدل الناتج عن المثاقفة. ويمكننا أن نلاحظ أن الأفراد الساخطين والقلقين في مجتمعات متماسكة يكونوا أكثر استعدادا لتقبل الطرازات الغريبة[2]. وهو ما ينطبق على شرائح من الساخطين على سياسات النظام السابق في الحد من دخول التقنيات ووسائل الاتصال العالم الخارجي والاطلاع على ما يحدث فيه من تقدم وتطور.

ونستشف من أنماط التثاقف في المجتمع العراقي مع الثقافات المحيطة والبعيدة بجانبيه المادي والمعنوي عبر وسائل الاتصال، بأن هناك شرائح وظفت هذه العناصر الثقافية في عملية التغيير الاجتماعي والثقافي الايجابي، وبالشكل الذي يتفق ولا يتقاطع مع منظومتنا الفكرية والأخلاقية والقيمية التي تمثل ثقافتنا وتاريخنا بإرثه الحضاري، ليتجلى هذا في تفاصيل الحياة الاجتماعية اليومية وما فيها من قيم وعادات وتقاليد أصيلة مستمرة في دورها كدرع وحصانة تواجه الغزو الثقافي لتيار

---

[1] كلاكهون، كلايد، المصدر السابق، ص109.

[2] المصدر نفسه، ص103.

التغيير الأحادي الموجه، من خلال تقوية أنماط العلاقات الاجتماعية الأولية الحميمية. فضلا عن بمواجهة الغزو الأجنبي العسكري والثقافي من خلال اقتباسه الأنماط الثقافية المصدرة إليه وذلك لمقاومته بها. حيث خلق تأثيرا حضاري معاد Antagonistic culturation عند تبني حضارة ما، سمة حضارية من حضارة معادية لمقاومة اعتداءاتها بصورة اشد فاعلية وتأثيرا[1]. فتشكلت مقاومة حضارية Cultural resistance وهي مقاومة حضارة معينة، من بعض السمات والمركبات الحضارية الغريبة عنها ورفضها لها بعد تبنيها[2]. بحيث استطاعت هذه الشريحة من المجتمع اقتباس عناصر ثقافية تعود للعدو وقامت بتوظيفها بقصد مقاومته ومنها الانترنت والهاتف النقال والقنوات الفضائية. وتجلى ذلك فيما يسمى اكتساب ثقافة الخصم Acculturation Antagoique في تبني المجتمع لسمة ثقافية من مجتمع آخر بقصد مقاومته مقاومة أكثر فاعلية[3].

وقد أثبتت هذه السلوكيات نجاحها على الواقع، عندما بدأ العدو الانسحاب والجلاء العسكري، على الرغم من بقاء نفوذه في البلد. لان السلطة الأمريكية تقوم بالمساعدات المادية والمالية وتخصص جزء كبير لنشر الثقافة الأمريكية، بما يمهد لزحف المصالح الأخرى. واتضح هذا أمام غالبية أفراد المجتمع ولم يعد يخفى على احد مصدر تصدير هذه الأنماط على اختلافها وتنوعها إلى مجتمعنا، مما جعل التثاقف المخطط والمراقب ولآجال طويلة اضعف أنماط التثاقف بين ثقافة المجتمع العراقي والثقافات الغربية.

صفوة القول.. إن المجتمع العراقي شهد أنماط من التثاقف عبر وسائل الاتصال، برزت مظاهره في ثقافته بجانبيها المادي والمعنوي. وإن التنظيم الاجتماعي للمجتمع العراقي يواجه عمليات تغير اجتماعي وثقافي مخطط. وهذا

---

[1] سليم، شاكر مصطفى، المصدر السابق، ص55.

[2] المصدر نفسه، ص229.

[3] بدوي، احمد زكي، المصدر السابق، ص6.

أدى الى قيام فئات من المجتمع باستخدام وتوظيف العناصر المقتبسة في مواجهة القوات الغازية للمجتمع بقصد مقاومته وإخراجه وطرده. فضلا عن أن العوامل التي تؤثر في عملية الانتشار الثقافي والتثاقف قد اجتمع اغلبها في واقع مجتمعنا ومنها الاستعمار والتجارة والهجرة ووسائل الاتصال. ونضع هنا عددا من المعالجات للتعامل مع الواقع الاجتماعي والثقافي الجديد، ومنها توظيف وسائل الاتصال في عملية التغيير عموما والتثاقف مع الثقافات الأخرى خصوصا، لتبيان أهمية العلاقة بين الثقافة ووسائل الاتصال بإجراء حلقات نقاشية وندوات ومؤتمرات علمية. وكذلك مقاومة العناصر الثقافية الوافدة، المادية والمعنوية التي تتقاطع مع ثقافتنا ومعتقداتنا. فضلا عن توعية الشباب بمخاطر وأضرار التغيير الثقافي الأحادي الموجه عبر وسائل الاتصال والهادف إلى طمس هويتنا العربية وتهجين ثقافتنا العربية والإسلامية.

مصادر الفصل الرابع

(1) إبراهيم، عبد الستار، الاكتئاب، اضطراب العصر الحديث، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

(2) الأسد، ناصر الدين، الثقافة العربية بين العولمة والعالمية، مجلة الأكاديمية، مطبوعات أكاديمية، المملكة المغربية، ع16، 1999.

(3) باطس، دي، وجون د، التلفون، الاختراع والحاضر والمستقبل، ترجمة محمد فكري أنور، مكتبة الوعي العربي، 1977.

(4) بدر، احمد، الاتصال بالجماهير، وكالة المطبوعات، الكويت، 1982.

(5) بدوي، احمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتب لبنان، بيروت، 1982.

(6) بركات، نظام محمود، التبادل اللا متكافئ بين الثقافتين العربية والغربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.

(7) بلقزيز، عبد الله، النظام الإعلامي السمعي – البصري الغربي والاختراق الثقافي في إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

(8) بيار، بونت، وميشال ايزار، معجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة وإشراف مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2006.

(9) بيومي، محمد احمد، الانثروبولوجيا الثقافية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

(10) تقرير التنمية البشرية، لعام 1999، برنامج الأمم المتحدة Undp ، طبع في البحرين، 1999.

(11) التويجري، عبد العزيز عثمان، الثقافة العربية والثقافات الأخرى، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 1998.

(12) جرجس، ملاك، سيكولوجية الإدارة والإنتاج، الدار العربية للكتاب، تـونس، 1983.
(13) جواد، محمد خلف، العلاقة الإشكالية بين الثقافي والغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحـدة العربيـة، بيروت، ع176، 1993.
(14) حجازي، سمير سعيد، معجم مصطلحات العلوم الإنسانية ونظريـة الثقافـة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2006.
(15) حسن، محمود شمال، نحن والبث الفضائي، مجلة دراسات اجتماعية، بيـت الحكمة، ع1، السنة الأولى، بغداد، 1999.
(16) حسن، مصدق، مدخل إلى الثقافة الإسلامية، دار النهضة، سوريا، 2006.
(17) الخريجي، عبد الله، التغير الاجتماعي والثقافي، رامكان، السعودية، 1983.
(18) الخشاب، احمد، دراسات انثروبولوجية، دار المعارف، مصر، 1971.
(19) دافيدوف، ل.لندا، مدخل علم النفس، ترجمة سيد الطواب، دار ماكجروهيـل، القاهرة، 1983.
(20) الداقوق، رضا محمد، العولمة تداعياتها وآثارها وسبل مواجهتها، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.
(21) الدليمي، احمد جاعد، علم اجتماع الإعلام، رؤية سوسيولوجية مستقبلية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.
(22) الدليمي، عبد الرزاق محمد، الإعلام والعولمة، دار مكتبـة الرائـد العلميـة للنشر، الأردن، 2004.
(23) الذيقاني، عبد احمد، الشباب العربي من منظور فكري وتربوي، بيت الحكمة، بغداد، 2001.
(24) الزيدي، مفيد، قضايا العولمة والمعلوماتية في المجتمع العربي المعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003.

(25) الساعاتي، سامية حسن، الثقافة والشخصية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.
(26) السبعاوي، جمعة جاسم، التطور التقني للاتصال وتأثيره الثقافي/الفضائيات أنموذجا، أطروحة دكتوراه، (غير منشورة)، جامعة بغداد، 2008.
(27) ستورا، جان بنجامان، الإجهاد، منشورات عويدات، بيروت، 1997.
(28) سلامة، عبد الحافظ محمد، الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار اليازوري العلمية، الأردن، 2002.
(29) سليم، جيهان، عولمة الثقافة واستراتيجيات التعامل معها في ظل العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.
(30) سليم، شاكر مصطفى، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت، الكويت 1981.
(31) شابيرو، هاري، نظرات في الثقافة، ترجمة محمد العريان، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة-نيويورك، 1961.
(32) الشماس، عيسى، مدخل إلى علم الإنسان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
(33) طبالة، عفاف، حول الدور الثقافي للتلفزيون، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ع87، 1995.
(34) عارف، مجيد حميد، انثروبولوجيا الاتصال، مطبعة دار الحكمة، بغداد، 1990.
(35) عبد الحافظ، عبد الرشيد، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005.
(36) عبد الدائم، عبد الله، دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1998.

(37) العبيدي، حارث علي، دراسات سوسيوانثروبولوجية، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2012.
(38) عزي، عبد الرحمن، الثقافة وحتمية الاتصال، نظرة قيمية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع295، 2003.
(39) عزي، عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال، سلسلة كتب المستقبل العربي (28)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.
(40) العموش، خلود، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديثة اربد، 2005.
(41) عليان، زكي مصطفى، ومحمد عبد الريس، وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1999.
(42) غليون، برهان، وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1999.
(43) غيث، محمد عاطف، علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984.
(44) الفرا، عبد الله عمر، تكنولوجيا التعليم والاتصال، ط4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطابع الأرز، الأردن، 1999.
(45) القوزي، محمد علي، نشأة وسائل الاتصال وتطورها، دار النهضة العربية، بيروت، 2007.
(46) كلاكهون، كلايد ، الإنسان في المرآة، ترجمة د.شاكر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد – نيويورك، 1949.
(47) كوش، دوني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، مراجعة الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.
(48) لنتون، رالف، دراسة الإنسان، ترجمة عبد الملك الناشف، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت– نيويورك، 1964.

(49) مدكور، إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
(50) مصطفى، فاروق محمد، الانثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984.
(51) معتوق، فريدريك، معجم العلوم الاجتماعية، أكاديميا، بيروت، 1998.
(52) ميلاد، محمود، علم نفس الاجتماع، وزارة التعليم العالي، دمشق، 1997.
(53) نسبت، روبرت، وروبرت بيران، علم الاجتماع، ترجمة جريس خوري، دار النضال للطباعة، بيروت، 1990.
(54) نهر، هادي، واحمد الخطيب، إدارة الاتصال والتواصل، عالم الكتب الحديث، اربد (الأردن)، 2009.
(55) النوري، قيس، مدار الانثروبولوجيا، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1991. الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1999.
(56) هادي، محمد عبده، إشكالية الثقافة – الإعلامية المرئية الوافدة (عبر القنوات والفضائيات)، مجلة التواصل، دار جامعة عون للطباعة والنشر، اليمن، ع15، 2006.
(57) هانس، بيتر، وهارولد شومان، فخ العولمة، ترجمة عدنان عباس علي، عالم المعرفة(238)، الكويت، 1998.
(58) الهيتي، هادي نعمان، الاتصال والتغير الثقافي، مطبعة دار الحكمة، بغداد، 1978.
(59) الهيتي، هادي نعمان، وخالد حبيب الراوي، نظرة في الاتصال الدولي والعوامل الميسرة لسريانه من الغرب إلى العرب، في إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.
(60) الوردي، زكي حسين، وعامر إبراهيم، الاتصالات، مطابع التعليم العالي، جامعة البصرة، 1990.

(61) وطفة، علي، الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ع192، بيروت، 1995.

(62) يس، السيد، العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

(63) Alvin L .Bertrand .Basic Sociology, Louisiana State University, Appleton-century-crofts, New York, 1973.

(64) Boas. F, "Anthropology" Encyclopedia of social sciences. Vol, 2, New York, 1930.

(65) Encyclopedia of social sciences the Macmillan. New York, 1962

(66) Firth Raymond. Essayson. Social Organization and value. university of London athlone press London.1964.

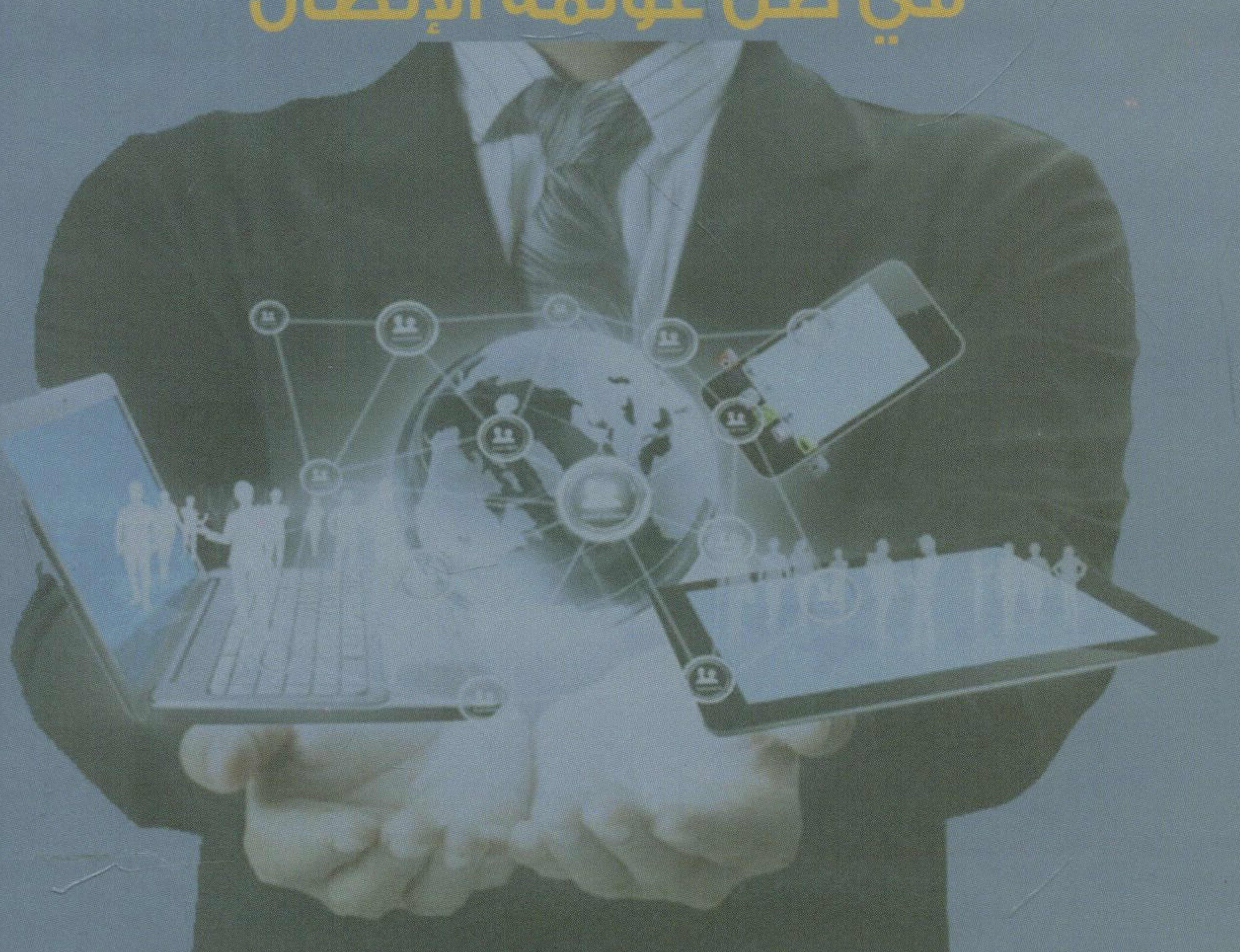
(67) Malinowski, B., "Culture:, Encyclopedia of social sciences. Vol. 4)67(

(68) Richard. P. Appelbaum Introduction to sociology, w.w. Norton & company. Inc. New York. London. 2003.

(69) Robin William, the concept of value in : International Encyclopedia of social science Ed. By David sills. N.y. the Macmillan co. And the free press. 1977.

الثقافة بين المحلية والكونية

في ظل عولمة الإتصال







دار الحامد للنشر والتوزيع

الأردن-عمان

هاتف: 5231081 فاكس: 96265235594+

ص.ب:366 عمان 11941 الأردن

E-mail:dar_alhamed@hotmail.com

E-mail:Daralhamed@yahoo.com



